

كولا البريك

سلالات شمال افريقيا

كولا البريك ،خوليو
دراسة سلالات شمال افريقيا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01026788

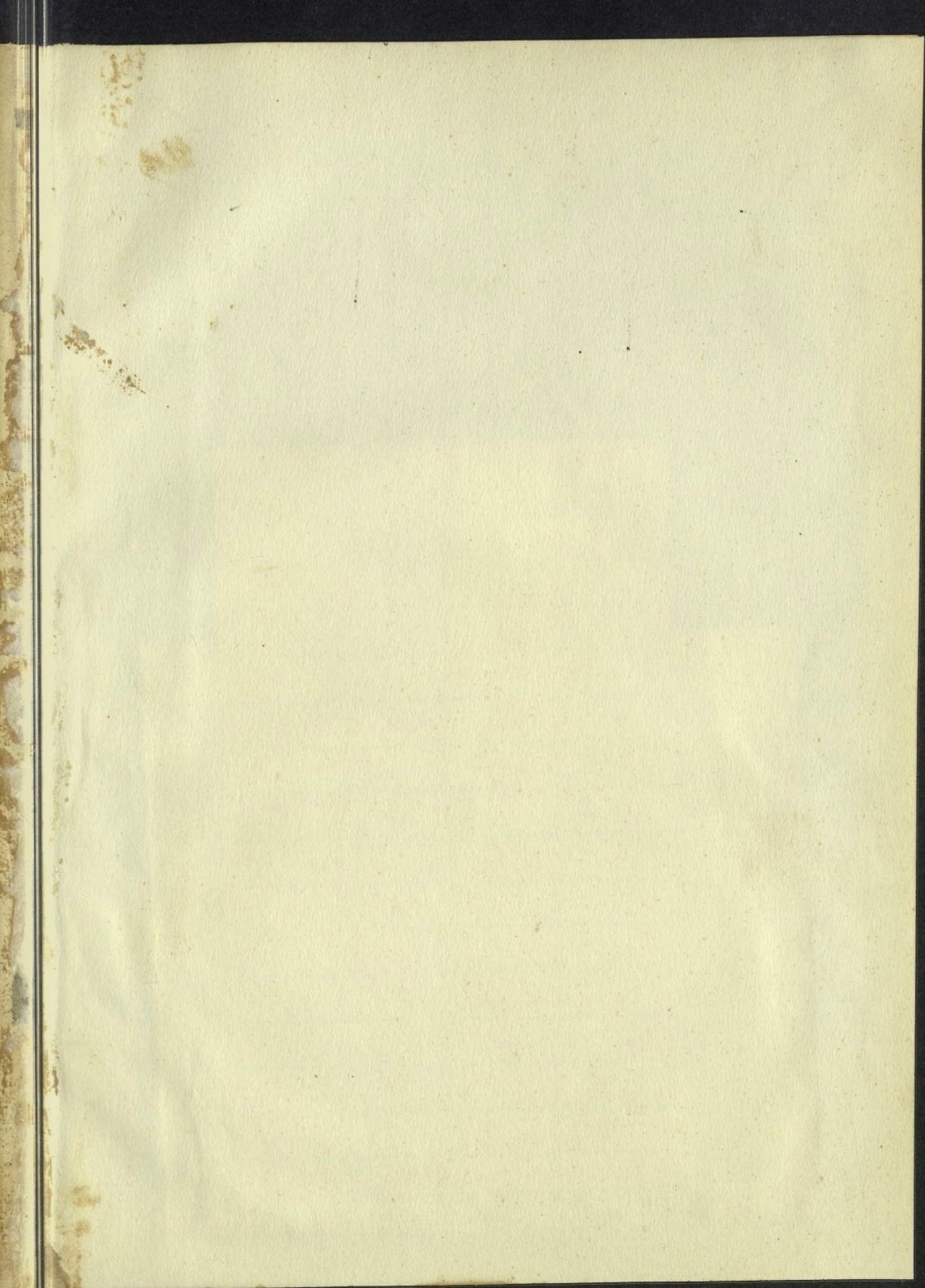
تجليد صالح الدقر
٢٢٩٧٧ ثلثة ون

572.961 C58

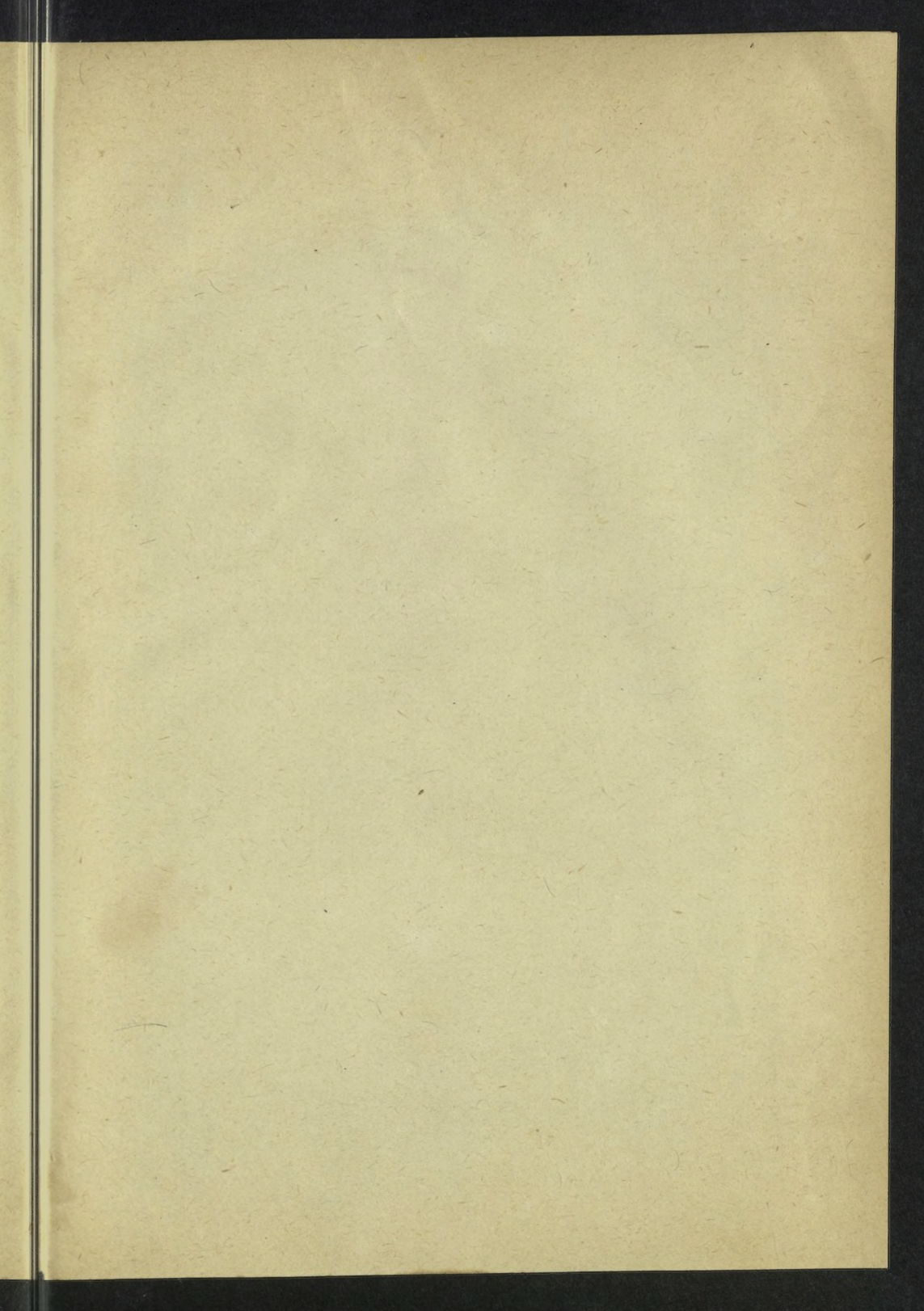
كولا البريك و خوليو

572.961
C 68A

20



دراسة سلالات شمال افريقيا



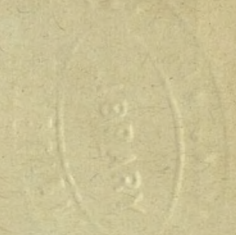
معهد مولاي الحسن

دراسة سلالات شمال افريقيا

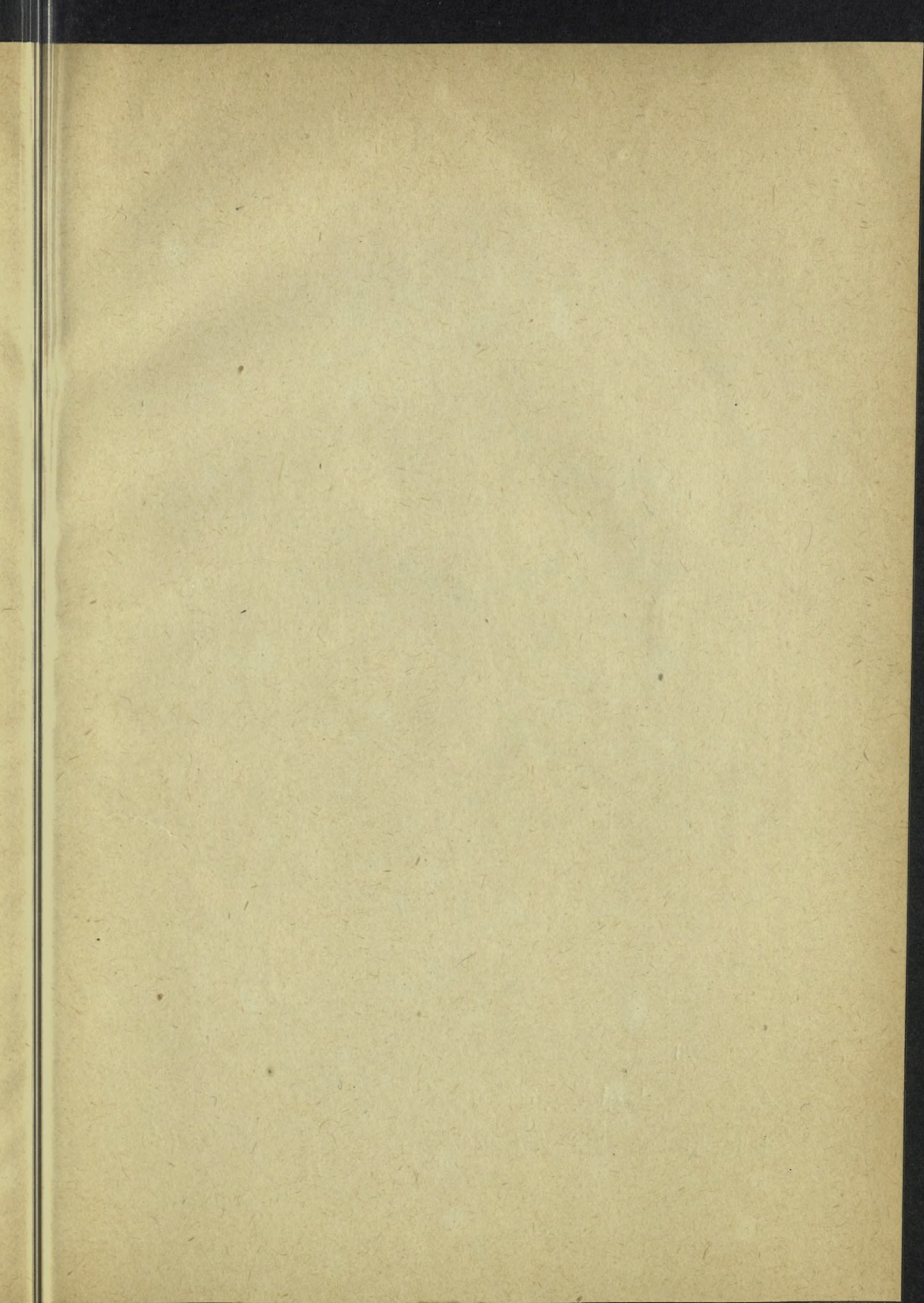
بقلم خوليو كولا البريك استاذ
في جامعة مدريد ورئيس قسم
معهد «برناردينو دي شاهكون»
لدراسة الانسان والسلالات في
المجلس الاعلى للابحاث العلمية

محاضرة اقيمت يوم 31 مارس 1947 في قاعة المحاضرات
بنيابة التربية والثقافة بتطوان

تطوان 1948



ترجم هذه المحاضرة إلى اللغة العربية
الاستاذ نجيب أبو ملهم عضو مكتب
الترجمة الأسبانية العربية بناية الامور الوطنية



ان دراسة السلالات البشرية التي استوطنت المغرب قبل دخول الاسلام وكل ما يتعلق بتلك الشعوب من عوائد وطرق معيشة لهي مورد غزير حافل بالموضوعات العلمية استرعى دائما وابداً انتباه الباحثين الكبار في سائر العصور والانمان.

فمن اوجه مختلفة ننظر بجلاء العروة السلائية التي تربط شعوب المغرب بشعوب شبه الجزيرة الاسبانية وهذه حجة اخرى تضاف الى غيرها من الحجج التي جاءت مؤيدة للحقيقة الناطقة بهذه المنطقة المتراصة الاطراف التي ندعوها «هسبيرييا» اقتداء بالتسمية الموقفة التي خلعا عليها عالمنا الكبير ضون ادوارد هرنانديث باتشيكو.

وتوجد فعلاً في منتجاتها المادية في المسكن في الزينات الجسدية وفي صناعة الادوات الخزفية الخ وتلاحظ كذلك في المبتدعات الفكرية والروحية منها: في العبادات وفي الخرافات والطقوس السحرية نتيجة شحذ مخيلاتهم في عالم ما فوق الطبيعة ولكل من هذا طابع مميز يجعلنا نلمس تلك الثقافة المقتصرة الخاصة التي بدورها تتصل اتصالاً وثيقاً بغيرها من الثقافات الهسبيرية فلذا استحبال تحليل مجموعة الواجهة المتفرعة المتنوعة تحليلاً مفصلاً فاضطاررنا الاقتصار في الوقت الضيق للمحاضرة على طائفة منها سنوجه عنايتنا الناحية الروحية التي ما زالت حية في خلال معتقداتها الوجدانية حيث انها ترتسم على عدة اعمال ذات قيمة سلائية كبرى.

وبهذه الكيفية نقدم صورة عن اساطيرهم وسحرةم وخرافاتهم التي اجمالاً لها مميزات شخصية فذة تكفي وحدها لمعرفة الثقافة التي تنتمي اليها بسهولة.

العوامل البيئية

تدخل في نطاق دراسة السلالة البشرية العلاقات الوثيقة القائمة بين الانسان والمحيط الطبيعي الذي يدور به . واما تاثيرات المحيط فيصح ان تكون مباشرة او غير مباشرة ومن عملها الخطير تتولد نتائج فاداة بالنسبة للسكان الاشمين احد معه في الوقت الحاضر ان الجغرافية على النمط المعروف كدراسة الانسان من حيث هو جسديا واخلاقيا بالنسبة للمكان تتطلب المكان كمحور مرشد لدراسة الانسان الحيوية والاخلاقية من حيث هو . فهذه التأثيرات تحدد الوجة الخاصة بمتوجاتها العادية كما وانها تطبع ميزات خاصة في نفسية الانسان . وهذا يلاحظ في توزيع الكتل البشرية على سطح الارض توزعا يحصل وفقا لامكانياتي الوسط المناخية والاقتصادية فالصحارى والبلدان ذات الاراضي البضاء القاحلة يستوطنها اقل عدد ممكن من البشر في حين ان الاراضي الخصباء والمواني من بحرية ونهرية والاراضي ذات المناخ المعتدل والتي قرها متوسط الاعتدال تطلع علينا بنسبة قصوى من حيث عدد السكان .

ومن العوامل الجغرافية المختلفة التي يمكن اعتبارها لدراسة السلالة البشرية لاحدى البلدان وصف طبيعة الجبال نظرا للدور الهام الذي تلعبه . ولما كانت تحدد كثيرا من ميزات الانسان من حيث هو جسديا واخلاقيا بالنسبة للمكان فتطبع طابعها القوي على طرق حياته العادية المحضة منها نجم ان المسكن تاتر بها بنوع خاص ، فمن هذا في المناطق الجبلية المغربية عدم وجود البناءات الشاهقة او الضخمة الحجم التي انما توجد في السهول الفسيحة ، ولا نعر كذلك

في انفراجات الودية على كتل كبيرة من السكان ومثل هذه الاعتبارات فإنها تقتصر على الجهة الشمالية من المغرب (١)

وتستند عوامل رئيسية أخرى الى دراسة الجغرافية المائية . فتاريخ سائر العصور يلمع بصفة قانون الرامي الى ان المدنات الكبرى لاقت مهدا ومركزها الوسيط السطحي حول المجاري المائية الكبرى سواء كانت المحيطات والبحار او الانهر الكبرى .

ووفقا للدراسة السالفة فكل تأثير العوامل المشتركة المتناوبة بين الانسان والوسط اندي يعيش فيه يتطوع بصورة خاصة على طريقة الحياة واللباس الخ . وصفوة القول فكل شيء يظهر طابع الوسط الذي يعيش فيه الانسان .

فالثقافة في حد ذاتها يمكن ان تعتبر ايضا كنتيجة لعمل الانسان لينال من الطبيعة ما لم تقدمه له عفوا فلهذا السبب تزدهر عادة في اماكن خصبة للغاية تنفض الى ادنى حد المجهود البشري ويقول «كربس» (٢) ان الانسان يضع في وجه الطبيعة ارادة وعلا مقنما الامتيازات التي تقدمها له محاولا تقليل العوائق

(١) راجع خوليو كولا البريك (Julio Gola Alberich) في «الدراسة السالفة المغرب» منشورات معهد مدريد سنة ١٩٤٦ وابحاث المؤلف ذاته في «شدوذ في المسكن الاهلي المغربي» مجلة العلوم لجمعية تقدم العلوم العدد ١١ رقم ٢ مدريد (T. XI núm. 2) مدريد سنة 1946 . مدريد «الدراسة السالفة للمسكن المغربي في مجلة افريقية لمعهد الدروس الافريقية . عدد ابريل . مدريد ١٩٤٧ و «المسكن البدوي المغربي موريطانيا عدد ٢١١ . طنجة جونية ١٩٤٥

Krebs (٢)

وهذا ما يفعله حتى الشعوب الهمجية اذ يمكن ان يقال بوجود ثقافة مهدا كانت اولية منذ الآونة التي عرفت فيها الكتابة البشرية ان تطبق حياتها على الطبيعة وتظهر الطبيعة لدى هذه البحوث كشيء لا يتحور بالنسبة الى الحياة البشرية ولقد بسط الانسان سلطانه على الارض وانتفع من الامتيازات دون ما حدود سوى التي تفرضها عليه بنيتة . وليس الميزة الجسدية هي كل شيء في تكوين الافكار الا انها عامل جبار يساعد على تاصل انواع ثقافية معينة . وفي المقتصرة على المغرب فلنقل ان لعوامل المحيط اهمية بعيدة الاثر .

وللعوامل المناخية رتبة فوق الممتازة في تنسيق مدى درجات التأثير . فالعصر الجليدي كان الحافز للبشرية التي كانت لذلك الحين مكتظة في منطقة ضيقة ان تنمو وتنتشر انتشارا فائقا وكانت افضلية الاختيار تقع دائما وابدا على الاراضي المنعرجة والجبلية سواء كانت ناشئة او مغطاة بالادغال الغير كثيفة ذات اقعر المعرض للرطوبة وسهل غمرها بالماء من الاودية في حال ان القيط المفرط يرسم عدم اهلية البلاد للسكنى كما هو حاصل في الصحاري الافريقية .

والحياة البدوية التي كانت منتشرة فيما مضى في المغرب في كثير من المناسبات يرجع مصدرها للتأثرات البيئية وكانت البداوة الى عهد قريب قاعدة عامة لحياة كثير من جماعات الشعوب الافريقية ولم تقتصر على الرعيان والصيادين فحسب بل تعتمدهما ايضا الى المزارعين . والعامل المهم الذي يحدد هذا هو فعل العوامل البيئية وبالاخص نفاذ موارد التربة او جفاف موارد الثروة السابقة الوجود (اضحلال صيد الاسماك والقنص الخ) .

وتوجد حالات يكون السبب فيها مخالفا كما يحصل الكثير من الشعوب التي تهجر اماكن اقامتها لخوفها من الارواح الشريرة التي تسكن

مقاطعتها ولا تعدم كذلك الاسباب الحربية التي تدفعهم الى الهجرة من جراء ضغط
العشائر المحاربة المجاورة المستقوية . فلذا سبب الحاميون الشرقيون وشعوب النيل
في زحفهم من الشمال الشرقي نزوحات السود نحو الجنوب والجنوب الشرقي .
وعند وسترمان (١) يرجع للنزوحات الفضل في تكوين دول الحمى (٢) في ناحية
البحريات الكبرى . وفيما يرجع الى المغرب فالحروب سببت تنقلات في السكان
واسعة خلال العهود المتقدمة للاسلام . فتكون اول اشارة في التاريخ المكتوب
عن الريف هي كتابة نقش على قبر العائلة المالكة الثامنة عشر (٣) تتعاق بقرو
من مصر آنذاك قامت به جماعة ليبية عرفت باسم مشاوشة (٤) الذين غزوا
الطاحينو (٥) وهم الليبيون الوحيدون الذين اعتادوا مجاورة المصريين (٦) فوجدوهم
تحت امرتهم لغزو مصر .

وكان انتشار العبيد في افريقيا بعد البرجمانيين وقبل الحاميين (٧) وتجنبوا
في بادئ امرهم الادغال ذات البيئة الغير مناسبة للحياة غير انهم فيما بعد وجدوا
انفسهم مضطرين الى ولوجها تحت ضغط شعوب اخرى . ويصح فقط في مثل هذه

(١) الدكتور ديتريش وسترمان في «نزوحات الشعوب في افريقيا» بحث

ونقدم «عدد ٥ = ٦ - سنة ١٤» مدريد ١٩٤٣ Dr. Dietrich Westermann.

Himas (٢)

(٣) اوزريك باتس Oric Bates «The Eastern Libyans» p. 211 Londres 1914.

Mashausha (٤)

Tahennu (٥)

(٦) غسطون ماسيرو Gaston Maspero «the Struggle of the Nations»
Londres 1896

Camitas (٧)

الحالات وغير ذلك من الدواعي القاهرة ان يقع الاختيار على اماكن قليلة الصلاحية لنمو الثقافات الزاهرة.

واما فيما يعود الى العزب فالتأثيرات البيئية تبلغ حدا عمليا يقف في الاستبداد فطبيعة البلاد الجبلية القاسية والوسط الجيولوجي والنباتي هما عاملان يحددان كثيرا من ظواهر ساكنها.

ولدى استعراض خريطة منطقتنا يلاحظ حالا وعلى غار وميزات ذات سيادة النمو الهائل الذي حصلت عنه الشواطئ التي يبلغ طولها الكلي ٥٣٠ كيلومترا. فهذه الحالة وكون البلاد واقعة في موقع جغرافي رئيسي في الطرف الثاني من العالم المعروف قديما شيئا دائما وصول جواهر الشعوب المغربية التي على ما يظهر راحت تتترك في المغرب آثار ثقافتها تراكت فوق التي للشعوب الاولى وعلى هذه الكيفية يصبح العامل الجغرافي دافعا قويا لتأثيرات سلالية واسعة.

وضعية المغرب السلالية

تبدي اقارة الافريقية في امتداد اصقاعها المترامية عدا النواحي الثقافية بحد ذاتها هذا الفرق الظاهر ضمن السدائرة الجيولوجية بسلطانيتها الاطلي الريفي والافريقي ويلاحظ كذلك من الوجهة السلالية فاصل جلي بين المغرب وبقية اقطار اقطار . ففي الشمال الافريقي ثقافات حامية شديدة القربى مع ثقافات غيرها مما تبقى من مقاطعة هسبيريا وهي تنطق بمصدر واحد في كل مظاهرها ولو كانت انتطورات التالاية خلال آلاف السنين قد اكسبتها صبغات خاصة فصلت هسبيريا الافريقية سلاليا عن شبه الجزيرة الايبيرية .

واما في بقية انحاء اقارة فعند فروبنوس (١) تتوزع الى ثقافتين افريقيتين

ديرتين : الايثرية والاطنتية منبهما البحر الاحمر وخليج القيناية .
وشواهد الثقافة الايثرية حقول الانارات على ساحل الموزنيك (١) وسواحل
البحر الاحمر كوهيت (٢) ذكرها جمهرة المؤلفين بالافير (٣) وتمتد هذه
الثقافة الى اقرب من مص الكونغو .

صنانت الاطنتيكا (٤) بادي ذي بده في خليج لاغينايا (٥) وتعرف عنها
اكتشافات واسعة جرت في ايفي او اوفي (٦) في بلاد الخروبس (٧) وناتي بشواهد
واضحة للتاثيرات الاسيوية الشرقية الى حد حمل معه فروبنوس (٨) على القول ان
في ذلك الجزء من العالم كان مشاؤها .

وللثقافات السامية (٩) التي تاصلت في الشمال الافريقي ميزات سلالية شديدة
الوضوح . وتكون اخر درجة للتطور النشئي في منابع ما قبل التاريخ وفي النقش
الصخري الصخراوي الزاهر ففي حالتها تسدل على صلة واضحة بالميزات المماثلة
في شبه الجزيرة الابيرية في حين ان الثقافات الافريقية من حيث هي والثقافات

Symbaje (١)

Koheito (٢)

Ofir (٣)

La Atlántica (٤)

La Guinea (٥)

Ife o Ufa (٦)

Jorubas (٧)

Frobenius (٨)

Camitas (٩)

الاسميية تظهر ميزات كثيرة الثابتين ومنها تركيب المجتمع . واما الشعوب المنتشرة في رحاب القارة فلها من الميزات التفرقة بين طبقات المجتمع حسب الاعمار فعند المساي (١) تسمى درجات المجتمع لايوك (٢) الاولاد والموران (٣) اليافعون والمورنو الكبار (٤) وتبتدى حياتهم الاجتماعية كالمر (يافعون) بهجر قريتهم وتجمعهم في قرى منفردة ومساكنهم لقيات في سن النكاح وهناك ينصرفون الى الحياة الحربية بيد انه لا اثر للاباحية في هذا الطراز من العيش . انهم يتجنبون كل ما فيه شطط ومنه الشهوانيات التي يراعونها مراعاة خاصة بحيث ان ادنى زلة مع صديقات الرفاق تعد امرا منافيا للاخلاق يستحق الاحتقار وفي الثلاثين تقريبا يتم الانتقال الى المرحلة التالية الموران (٥) وهي المرحلة التي تتخذ فيها الحياة نسق الهدوء للعيش المتوسط الدرجة . واما تكريس البلوغ الجنسي فيتم في احتفالات الشروع التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالطقوس السحرية الاولى وعند اغلبية هذه الشعوب الافريقية يمسك الكاهن المتنكر كانه فهد بالمتجدد ويهزه ثم يسدد اليه نظراته واما عند الكري (٦) فيتنكر الكاهن كانه فهد ويدهن جسمه ببقع مماثلة لبقع جلد الحيوان الهري الذي من جلده يتخذ ما يستمر به عورته . والفهد عند هذا الشعب حرز الملوك الذين تمت

Massai (١)

Layok (٢)

Elmorán (٣)

Elmoruo (٤)

Elmoruo (٥)

Kirri (٦)

تضحيتهم . بموجب هذا الطقس العاتى وروح الاشغل . وان كان الحوز أسما ففي هذا الاسم الذي يربطه باخوته ثروة ذات مغزى زهذي يجعاه داريا بشعور التضامن الاجتماعى . وفي الثقافة الاطلنيسكية التي امتد تأثيرها الى الثقافة الحامية الافريقية وجود لطريقة سياسية ترى العالم بعراة دينية صرفة ، فالسما مقسومة الى مناطق في عهد اله فيه صفات عمل خاص . حرب وفلاحة وامطار الخ .

فكل هذه الميزات الانفة الذكر تختلف اختلافا بينا عن الميزات التي تقتصر على ثقافة المغرب . فالمجتمع لا يستند الى رتب ودرجات حسب السن والختانة هى الاحتفال الوحيد الذي ينوه ببعض التمييز في حياة المرء وتجري الختانة في المغرب قبل السابعة وهى تحوير للختانة الحقيقية عند الشعوب الطوطيمكية (١) ومعناها شروع القتى في حياة النكاح بواسطة ازالة القلفة العائق الحقيقى او الرمزي للجماع ووجود الختانة في شمالي افريقيا انما هو اثر ابعاد لتسربات الثقافية المشتركة بين السيطرتين في القارة الافريقية .

الوشم

الوشم الذي يحمله المغاربة اهمية خاصة . وتعدد اشكاله التى تظهر لا تحصى ولا تنحصر وكذلك اما كنه من الجسد فكثيره التنوع . واما الاشكال المعتادة فهى الصليب . الطرق والدوائر . وفي الريف فيصير ما يستعملون الخطوط المتوازية او المعترضة . وفي بعض الاحيان تمثل صورا انسانية على نمط النقوش المستعملة في شبه الجزيرة على الصخور والكهوف ويحصل هذا بصره خاصة في قبائل بنى يطق حيث شوهدت عدة حالات . وفي مراکش واسفى على وجه كثيرات من النساء البربريات ينقش رمز اسطرطى اي قمرا في قرنى الثور

وتنقش الوشوم على الوجه والجين والذقن خصوصا وعلى الصدر والافخاذ والايدي .
ففى بعض الحالات يبلغ الوشم معنى اجتماعيا كما فى الريف حيث استعماله
عند النساء هو فى كثير من الحالات شرط مههد للزواج ونقوم بنقشه امراة من
نفس الرتبة الاجتماعية العائلية اجنبية . فقط فى حال عدم وجود امراة من
العائلة عارفة بهذا النقش يتجأ الى غيرها من خارج العائلة . فهذه المسائل
تعتبر كعلامات لتاصل الروح القبائلية الكثيرة الشيوع عند الطوطميك وتعتبر
المرأة قليلة الحظ فيما اذا قابلت الزواج دون ان تكون قد وشمت وكذلك يعد
شؤوما ان وشمت الفتاة دون ان تكون قريبة من الزواج .

واقدر ذكرنا من ان الوشوم تكون لها بصورة خاصة صورة الصليب والدائرة
والطربق والان فلتتحدث عن معنى هذه الرموز وما هو مصدرها الاجتماعى .
هذا يقتضى ان نضع مقابلة مع الثقافة الكلدانية - الاشورية الزاهرة التى
منها انبجست عدة تيارات فى مختلف بلدان الشمال الافريقى ان الجيل الذى استوطن
آمايين انهزمين كان يعبد القوى الطبيعية لانوار الشمس واقمر والنجوم . ومنذ
بد تظاهر اثار فن العائلات الاشورية المعروفة اى منذ ٢٩٠٠ ق . م . اظهرت
هذه النقط الاساسية فى ديانتها وكذلك فى الاثار البابلية لعالى شيماك الثانى (١)
الموجودة حاليا فى اللوفر ويرجع قدمها الى ١٢٠٣ ق . م . وتظهر رموز شاخ (٢)
وشور ياش (٣) الهى الشمس لعصر القاسيط (٤) فالنجمة البراقة هى الرمز الشمسى

Meli-Xipac II (١)

Xaj (٢)

Xurix (٣)

Kassita (٤)

الخامس بابل ولقد امرت سميراميس (١) بنقش نجمة زوجها مزينة بالرموز المقدسة وبينها الصليب رمز شمش (٢) اله بابل الشمسى . فهذا الصليب رمز الوهية الشمس في ما بين النهرين وهو ما جاءت به الى الغرب الشعوب الزاحقة في كثير من حملاتها الحربية والتجارية فتاصل عند السكان المغاربة الاولين الذين اقتبسوه باديء ذي بدء كرمز ديني للاهليلية ذات السيادة وبعد الدخول في الاسلام دام استعماله بكم التقليد مع جهل معناه الاولى .

والدائرة اصل مشابه والقرص البسيط هو رمز الاله الشمسي ومن بعد يظهر القرص مجنحا مثل الذي يقدر في مصر . و شكله البسيط الاولى هو الذي ينقش في الوشوم المغربية . وفيما يتعلق بالطريق ففى عهد القاسط نقتر على التماثيل التذكارية مع الرموز المتقدمة بيد انه لا زال مجهول المعنى .

وبعض اشكال الوشم المغربى تمثل دائرات ذات مركز واحد وحلزونى . وكثيرا ما توجد في الريف . وعند برويل (٣) هى نهاية سلسلة تطورية ابتداءها رجل رافع الساعدين في حين ان دشيلا (٤) يخالفه ويعتقد بانها نتيجة تحول الشمس والمركبة الشمسية . ولئن كان الامر كذلك فيمثل الاول الشمس وتكون المركبة نصف دائرة فجاء فنانون غير حاذق فحصل على نسبة اكبر وصحيح كذلك تغيير التمثيلات الرموزية في الحجرية لما قبل التاريخ فيما يعود الى الوشوم وهنى تشير بلا ريب الى وجود عبارات اهليلية قديمة . وفي حالة الوشم الذي يمثل

Semiramis (١)

Xamax (٢)

Breuil (٣)

Dechelette (٤)

شكل حلزوني داخل الدائرة يمكن ان تعتبر كدليل للحركة الشمسية وكثيرا ما توجد ايضا حالة النقطة المركزية والاشعة المنبثقة منها بالنسبة للحالات التي يمكن ان يعين لها مغزى مماثل .

وفي حصن طرونيا تظهر رموز شمسية في شكل دوائر شعاعية بعضها مزين بمنطقتين من الاشعة . ومثلها النقوش التي تزين بعض قطع فسيقساء برتبروس وسبروسو (١) وتوجد ايضا انواع الوشم على اساس خطوط هندسية فالخطوط (٢) المنكسرة مماثلة للصور التمثيلية المطور المكدلاني . واخيرا ان الخطوط التي تشير الى الخرافة المتصلة فيما يتعلق بالخمس التي سنشير اليها فيما بعد وندرسها دراسة وافية فشكلها المتعدد الصور يشير الاعجاب الى حد بعيد . فعلى هذه الكيفية توجد وشوم . وكذلك يمكن ان تشاهد مرسومة بالحناء او بالليل على الابدواب .

عبادة الشمس

فلئن كان كما قد شاهدنا لدى تحليل مصدرها فالوشوم تقريبا هي رموز سحرية او دينية وعلامات مميزة لالهة الانسان الاول فيصح اعتبار الوشم كمنطق سحر لطيف او حارس . وبواسطة هذه الوشوم يسعى الشخص الموشوم في ان يجلب لنفسه حماية الالهة التي يحمل رموزها منقوشة على جسده . وتوجد اشكال اخرى من الوشم منتشرة في العالم لها معان تختلف عن معاني هذه . بيد ان التي تستعمل في المغرب ينبغي -دون ما ريب ان يعين لها المعنى المشار اليه فحن وراء هذا تجميل

(١) Briteiros y sabroso

(٢) خواكين لورينثو فرنندث Joaquín Lorenzo Fernández الرمز الشمسي في

شرق غربي شبه الجزيرة «مؤتمر العالم البرتغالي المجلد الاول لشبونة سنة ١٩٤٠

الى واحدة من ميراث السلالة النفسانية المغربية التي اكيدا يميزها الى درجة قصوى ذلك الفيض من الافكار التي استحوذت على العقلية المغربية لما قبل الاسلام ولا تزال حية في خرافاتها، الا وهي عبادة الشمس.

كان لعبادات قوات الطبيعة، وهي الرئيسية انتشار واسع في العالم كله . فلدى انبثاق فجر الانسانية الاولى كانت نفس الانسان تلامس في اتصالها النابض الالهوية التي تحزر وتدرک في المنظر الحائل المريع للطبيعة وترى في الكوكب المنير الذي يطلع طلوعا موثرا في وحدته البهية منطق الكائن الاعلى الذي ينبغي ان تكرس له احدى صلواتها . فالشمس ترسل على الارض اشعتها الخصيبة . فتعمل على اخراج النباتات التي من قسمها العظيم يتخذ قوته . وجمال طلوعها الساحر وغروبها وانتظام دوراتها . كل هذا عمل في اولئك الاميين عمله وترك تأثيرات عجيبة جلبتهم الى حضن هذا الكوكب . فلا ريب في ان هذا هو السبب الاول لهذه العبادات التي تتكرر عند الشعوب المنتشرة في سائر القارات .

ويكتب فروبنوس (١) هكذا: كل شيء متصل بسير الشمس اثناء النهار في عالم انوار الليل والصلة تتحف بالايضاح . وسير الشمس هو الحادث العظيم الذي ينه ضمير الانوار (٢) ويكتب من بعد: «احساسات وتفكيرات موثرة تكثف الشمس . ومن هذا يتولد اللغز . فالشمس تتحول الى قرص والتنين رمز البحر في مركب والساحر يصبح كاهنا» .

وهذه الافكار توجد عند اكثر الشعوب تباينا من حيث الهداية السلافية فعند

Frobenius (١)

(٢) راجع فروبنوس Frobenius في «الثقافة ككائن حي» مبحث اسبابها

كلبي Espasa Calpe مدريد سنة ١٩٢٤

الشعوب الشمالية والهمجية التي تاصلت عندها عادة الشمس حمل معه دثشلات (١) على القول في احدى كتبه (٢) في الواقع ان عبادة الشمس هي التي تركت من بين عبادات الهمجيين في الغرب من عهود ما قبل الرومان في الفن لما قبل التاريخ اثارا اشد ظهورا . ولقد تاصلت تادالا بعيدا عند الشعوب السامية الحامية للعهد الاولي للبشرية واما عند الشعوب الاوربية فلا شئ يبدل على وجود عبادة الشمس قبل العصر الحجري الثاني بينما كانت قبل ذلك عند شعوب الشرق الاوسط والشمال الافريقي .

واما رمزها في مصر فكان كثير التنوع واسماؤها لا يحصى عديدها وكذلك اشكالها الرمزية . ومن بعض ممثلاتها الاوسيرس وعمون طابس وراوهايو بولس وبطاح منقيس والى النشاة الخاصة تنضم وتمتج في هذه المرحلة .

العبادة المصرية نشاة السحريات ومعاطاتها التي كان لها وجود في عهد ما قبل التاريخ وكانت متصلة بها اتصالا محكم الروابط . ولقد حدثنا عنها فرازر (٣) بهذه العبارات : في كل ليلة كان فيها رع اله الشمس يعود الى مقره في الغرب الملهب وكان عليه ان يحارب جيشا من الشياطين تحت قيادة ابابى عدوه الدود . كان رع ينازلهم الليل بطوله وفي بعض الاحيان كان الضباب يتوصل الى جعل السماء قاتمة بغيوم سوداء واضاع نور الشمس حتى في النهار ومن اجل مساعدة الاله كانت تقام يوميا في هيكله في طابا الحفلة الاتية : يصنع من شمع تمثال لابابى في

Dechelette (١)

(٢) دثشلات Dechelette في كتابه : علم الاثرات لما قبل التاريخ السلتية

والغالية الرومانية باريز سنة ١٩١٠

Frazer (٣)

شكل تماشح فطائع وحية ذات حلقات لا يحصى عديدها ويكتب على التمثال
بمداد اخضر اسم الروح الشريرة فتوضع الصورة في غشاء البايير وعليها الكتابة
الملفوفة بشعور سوداء ثم يعلق عليها الكاعن ويقطعها بسكين من حجر الصوان
ويرمى بها الأرض ويطاها بقدمه اليسرى . واخيرا كان ينهي الحفله بحرق الصورة
في موقد اشعلت فيه اجناس معينه من النباتات . ومن بلاد ما بين النهرين ومن احدى
التقاط الاخرى جاءت الى المغرب افكار ارشادية لعباده الشمس هذه
ولقد معنا الى عبادتها . وفي الموشيات التي عثر عليها تشاهد غالبا تمثيلات شمسية
كما هي الحال في وشى طابع ايليل موراميك بن اريك دن ايلو الذي عثر عليه
في اشور واحتفظ به في بابلين

ففي هذا الوشى يظهر قرص مجنح عظمه الوحى الشمسى وهذه هي الحال
عند كثير من النماذج التي عثر عليها .

ومن مصر انتقلت عبادة الشمس حالا الى المغرب فتاقلت في هذه الامصار بقوة
لا توصف . ففي عهد ما قبل التاريخ رسمت في جنوب وهران نقوش صخرية درسها
فرنبان (١) تمثل كبشا متوجا بقرص شمسى محوط بجينتين وهى صورة ما خوذة
مباشرة من صورة امون الفرعونية وهذا مما يدل على ان عبادة الشمس هي التي
اعدت الباطن الدينى لشعوب الشمال الافريقى منذ اقدم الازمان . وما عاش منها
ولا يزال مضمونا ليذل على ان الباطن الروحى لم يضمحل .

ومن بين الطقوس التي تقوم بها حاليا الكفرديات الدينية الاسلامية بالمغرب
تستوعى الانتباه ايما استرعاء واحدة . فعند كفراية «الحماشة» يضرب الاتباع
رؤوسهم بقووس ذات شكل خاص مركب من شورتين حادتين مصنوعتين صاها

محكما وكتاتهما معا تو لفان شكلا اهليلجها (١) ومصدر استعمال الفاس في طقوس

الكفرادية يروى بين الاتباع كما يلي .

كان سيدي رخال - وهو رجل صالح - يعيش في الجبل وكان خنثى ولو كان في خدمته امرأتان عقيقتان فسمع السلطان بقداسته فارسل اثنين من رعيته اليه للتأكد من امره وكان أحدهما سيدي علي - مؤسس الكفرادية والاخر احمد العروسي اللذان ما ان شاهداه حتى تسربت اليهما قداسته ورفضا الرجوع الى مراكز الباعث الذي حدا بالسلطان الى ارسال عساكره في طلبهما فالتقوا القبض عليهما وحكم عليهما بالاعدام وعند ما حانت ساعة تنفيذ الحكم طلع سيدي رخال من وراء الجلادين منتضيا فاسا كانت كافية لتشيت شملهم وفي الحال اهداها لسيدي علي الذي بدوره تركها لاتباعه (٢)

وبقطع النظر عن هذا التأويل ينبغي ان يرى في طقس استعمال الفاس بقاء كامن بطي لعبادة الشمس فيما وراء روحيات المغربي يديه في مظاهر كثيرة التنوع . ففي الواقع انما الفاس هي رمز الوهية الشمس وترمز الى الاشعة التي يطلقها الكوكب وقد ادركت بشكل مطرقة وكثيرا ما تمثل بشكل اوعية قوية من العنبر او العظم .

وعادة الشمس هذه تنتشر انتشارا هائلا في اقارة الجديدة كفيها من العادات الطبيعية وتمثيلاتها كثيرة الشبه بالتني نعشر عاينها في العالم القديم ولذا

(١) طوماس غرثيا فيغارس «الجمادشة والساوي» (موضوعات عن الحماية)

Tomás García Figueras «Hamadcha y Aissaua».

(٢) القبطان ملدونادو «الكفراديات الدينية بالمغرب» تطوان سنة ١٩٤٢

Capitán Maldonado «Cofradías Religiosas en Marruecos» Tetuán 1932.

ندرج صورة من ذهب لتمثيل الشمس عند جماعة انكس ابيرو لأنها تبدي وجهات
شبه مدهشة بنوع الوشم الكثير الشيع في الريف مما ستعرض لتبيانها فيما يلي .
وكل هذا انما هو دلائل على بداية عبادة الشمس التي تحدد تلك الوشوم التي
سنصحبها كذلك بتصميم يتعلق باختلاف انواعها الموجودة في سائر النواحي المغربية
والتي تفكرتها الانشائية مبدا عبادة الشمس .

العزائم

وحيث تشاهد مشاهدة تامة مجموعة واسعة للافكار الوثنية هي من بقايا
أثار الانسانية البدائية ففي الخرافات التي تستحوذ على النفس وتقرض سلطة جبارة
على الحياة اليومية . وعلى كافة اعتباراتها تطمع طابعا قويا من نفوذها . والعزائم
مظهرها المادي فهي كثيرة ومتنوعة وتكون على اشكال متباينة وقد تكون
جزءا من الطقوس الفينيقية يبدانها قد تكون حسب ما يقدر سابقة في تكوينها
اد نعثر على رموز لها متصلة في المغرب وهذا ما يجعلها اما يسمى «بعلامة التانيث»
المشكلة من مثلث منته بدائرة وخطين منكسرين وفيه نشاهد بقايا لعبادة الشمس .
ومن اشد العزائم سلطة في المغرب غزيمة القرويين بفاس التي حسب الاسطورة
جيئي بها من الفانج وهي كناية عن عصفور من ذهب في منقاره عقرب يصون الجامع
من القتران و كرة من حجر مجهول يقتل كل افعى تجتاز بصورة من الصور اسوار
القرويين . ففي عهد وضعها كانت هذه الغزيمة ذات فائدة كبيرة اذ كانت
تتفع حالات الاغتيال لاسباب سياسية ودينية باستعمال زخافات سامة .

وللعزائم فاعليات مادية يمكن ان تصون من عمل الارواح الشريرة وتحفظ
الانسان من مضرة البعثة وتشفي من الامراض التي تسببها وتقي من مضرة العين
التي ترعب . والعيون الزرقاء هي موضوع خوف اكثر من غيرها لانها نادرة وعيون

المرأة اشد مفعولا من عيون الرجل وهذا من الاسباب التي تتحدو لوضع الحجاب على النساء لتلافى سحرهن .

وللنعال التي تزين الابواب المغربية مثل هذا المعنى . ويكون لها شكل معدني مخمس الاطراف وفقا لخرافة الخمسة وطريقة ادماجها في الباب متنوعة وتكون عادة في الزاوية العليا من اليمين رغم انه يمكن ان تكون من الشمال وفي هذه الحالة يوجهون منتهى اطرافها نحو اليمين خلافا لما يقع في الحالة المعتادة الكثيرة الاستعمال والتي اشرنا اليها اولا . ورغم ان الاطراف المعدنية التي تتألف منها النعال هي خمسة عادة فيمكن ان تتكون من سبعة في مناسبات اخرى . ولتجنب عمل العين ايضا تلفظ هذه الجملة . «خمسة على عينك او قد يكفي بلفظ «خمسة» وخرافة الخمسة الكثيرة الانتشار في المغرب لهي ذات انتشار في العالم بأسره فيكون ان الخمسة كعدد طقسى توجد كذلك عند الشعوب الاميركية الالهية لقبل عهد كوكومبس . وتوجد في هواحي البوحت صوند في اميركا الشمالية وفي كلبورينا تظهر بين الكوسطنكس ومن المرجح ان العدد الطاقسى «العشرة» يوجد في شمال شرقي وغربي البومو وتظهر الخمسة ايضا بين الكيكانو من اعمال خاليسكو . وهي في اميركا الجنوبية كثيرة الانتشار ويستخدمها من بين الشعوب الوطوطو في كولومبيا والكوبا والتشريفوانو من اعمال انترامشركو . وفي العالم القديم في آسيا نعلم ان الخمسة كانت عدد اذا قدسية خاصة .

فلذا كانت الهياكل حيث كان الماوكة يقدمون فيها ذبايحهم الى الالهة ذات خمسة طوابق وتمسنى لما مشاهدة ذلك في طابع توكاشي نيمورث الاول المحفوظ في برلين بين الثماثيل العريده المحفوظة هنا الك . ويمالك الاسرائيليون عدة اشارات في طقسهم توضح مثل هذا الاعتقاد . وما احتفالات عيد «السجينة»

او «السكوت» سوى مثال على ذلك. ويتفلون بهذا العيد في اليوم الخامس عشر من اول شهور السنة او «تشري» وفيه يدورون بسعفة تنتهي بترنجة في اليد ودورتهم تتم حول اضمارات احتوت على كتب موسى الخمسة وفي اليوم السابع يقومون بسبع دورات. وعند الكلدانيين كانت تشيد اهرامات ذات سبعة ابواب لسبعة طوابق واما الكلدولبريون الاسرائليون فيستعملون سبعة اذرع. فكل هذا يدل على ان خرافة الخمسة واسطورة السبعة تستعملان عادة كما هو حاصل في المغرب بصفة المشاركة.

وبين الوشوم المستعملة بوفرة في المغرب تمثيلات هاتين الخرافتين وفي الصورة الجرفوقة تشير الى بعضها ومن معاينتها يمكن ادراك الاهمية العظمى التي تنوعل اليها هذه الخرافات بسهولة ولتقديس اليد «علاقة وثيقة بخرافة الخمسة وهذا الى حد جعل منهما تولفان عزيزة اولية في المغرب. فاليد ما زالت منذ العصور الاولى لفجر الانسانية موضوع تقديس خاص تاصات في شبه الجزيرة الابرية وانتشرت انتشارا عظيما وهذه الفكرة ما برحت فائسة في المغرب اليوم على اشد ما هي عليه مفعولا. فاليد باصابعها الخمس تشكل العزيمة المختارة وتضم خرافتين: خرافة الخمسة وخرافة اليد ويعد بالالوف في المغرب الذين يستعملون «يد فاطمة» كدواء شاف من العين. فعلى سائر الابواب وعمب المساكن المغربية تصور بالاحمر او الازرق يد مبسطة تدفع هذا الشر (١)

وتمتاز اليد في عبادات ما قبل التاريخ بدرجتها البارزة، ففي سائر الغيران التي درست حتى الان تقرينا عثر على تمثيلات لليد في اما كن نظرا لصعوبة الوصول اليها ينبغي ان تعتبر اولى اضرحة الانسان الاول وهذا يحصل مثلا في كهف

(١) خوايولا البريك «نسب السلالة الايبيرية الافريقية الباب الثالث مجلة

موريتانيا» عدد ٢٢١ طنجة. مايو ١٩٤٦

القصر بمدينة سنتندرد حيث توجد بكثرة صور الايدي التي تقشى جدرانها ومثل هذا حاصل في غار غرغس الامر الذي له أهمية فريدة وخصوصا ما في مغارة الطاميرا ولقد وصلت الدروس التي قام بها في هذه المغارة بصورة خاصة كل من هنري برييل وهوغو الى الاستدلال على ان للاشارات والصور المنقوشة في الفيران علاقة بطقوس السحجر او عبادة الحيوان في شكل صنم (١) ومنها يستدل على الفن الاولى للسحجر المنحوت على انها كانت اضرحة لهم. ويصعد تاريخها الاكيد الى عصور سحيقة كما يذكر في البحث المشار اليه واعصر الاورينا سيسير ترجع اشارات وعلاقات ونقوش حمراء وايد مصورة ومنقوشة تمثل اكواخا وحيوانات في اغطية «فعلى كل هذه التمثيلات ان قليلا وان كثيرا صبغة فنية حسب الفن او الروح الجمالى للشعوب التي صاغتها وهذه الظواهر حسب تاكيد او يرمير في كثير من الاحيان غير منظورة وانما صنعت لمثقة الصانع والالهة.

وفي مصر الفرعونية بلغت كذلك الدرجة القصوى من الانتشار فالعلامة «لم» من الحروف الهيروغليفية هي يد وعلامات الكائن و Khu من المقاطع تمثل اليد مع الساعد فانتشرت في العالم الجديدة انتشارا كبيرا (٢) كما هي الحال بالخصوص عند المايس.

عالم ما فوق الطبيعة

فها هنا حيث تلتقى في صوت واحد لا يجارى كافة انعام دراسة سلالة ما قبل الاسلام. فلاشعب البربري الاولى الذى استوطن هذه البلاد منذ

- (١) الاب انريكى برويل والد كتور هوغو وييرمير مغارة الطاميرا في ستينااند
لمار الشركة الاسبانية الاميركية والاكاديمية الملكية التاريخ سنة 1935
(٢) خوليو كولا البرياك

المراحل الانشائية للحياة الانسانية، علم غزير في السحر قائم على الحدس والتكهن . وكانت له دراية في العقاقير السامة والمهيجة وفي استعمال خواص الاعشاب . وكان البربر حاذقين في التكهن وكانوا يتخذون كقاعدة لتكهناتهم خطوط اليد وحرركات البطن . فالافكار الاولى التي جاءت من ارض الكنعانيين تآصلت في المغرب وامتد نفوذها بحافز من الخيال البشرى في كنف المحيط العظيم الشأن . فالكوارث وصعوبات الحياة والكفاح ضد الوسط المعادى حملت فكر الانسان الاول على ان يضع في محيط ما فوق الطبيعة الذي يدور به مخلوقات شريرة هي سبب تعاسته . فكذلك يمكن ان يقال ان المغرب هو بلاد الجان التي تسكن جباله الجرداء وصخوره التي لا ترتقى . فالجان هي التي تطارد الانسان وتحدى الله وليس غير التلويح ما يعوقها عن ان ترتفع وتشور على الله فتعود عندئذ ضد البشر الذين في ليالى الشتاء القاسية ينبغي ان ينتظروا من تلك المذلوقات القلقة والمظلمة التي تعيش وتضطرب في نشاط دائم كافة انواع الكوارث والمصائب (١)

فهذا الازدهار الخارق لعالم ما فوق الطبيعة الذي خلقه الفكر المغربي ينبغي ان يعد في جملة نتيجته لتأثير المحيط في الانسان، وجذوبة اراضي شمال افريقيا القسيحة ووعورة سلسلة جبالها الكثيرة الامتداد التي لا يشمها وصف واخيراً فداحة مناعة المحيط العدائي الذي يدور بها، ولدت في الفكر الاسباب والحالة المناسبة لتصور عالم حافل بالجان والارواح الشريرة التي تشجع وهي في أحشاء الصخور وحنايا التربة على اعزاء جملة المصائب التي تحدث في الحياة في مثل هذه المقاطعات الغير ملائمة ومملوءة بوسط تعمه الوحشة، الى تلك الارواح . ففي كل جهة نفس النهم المحزون النهم الذي مع تناسب مبهظ للرواسي القائمة في البلاد كوخز

(١) - ازركى اركس في مملكة الجان المظلمة . « افريقيا الشمالية سنة ١٩٢٦

والجان العقاريات المغربية » غزتادي افركا ١٩٤٥

الحجارة الشائكة يطغى على الذات ويعدها لتصور الفرد لعبة قوات غريبة وجبارة
تحيك تعاسته. والجدوبة الموحشة للقسم الأكبر من البلاد تخلق حتماً وجوداً
مضكاً، فتتبرر نشاط الارواح الشريرة المشنوم فيساعد في هذه الحالة الوسط على ما
يتطلبه الفكر. ويبدو مفعماً بعويل الارواح هبوب الريح التي تعصف في حناجر
تلك الوهاد. وفي فصول الشتاء القاسية في جبال غمارة أو الريف المرعبة يحدث
المنظر العر في قرارة النفس روعاً يشحذ الخيال ويدفعه في طلب جان يعزى
لهيجانها الكوارث التي تقع. ففي منظر الطبيعة ينبغي ان يبحث عن سر الصكابة
العقيمة المريرة التي تشربها هذه الاعتقادات الغابرة لسكان المغرب

ومن اجل التغلب على حيلها واخضاعها لمصلحة الانسان اوجد هذا السحر
الذي تأصل في المجتمعات الاولية البدائية تاصلاً خارق العادة.

فالسحر الذي طقوسه - دائماً سرية - توالف ما اسماه اوغست كجيت رسول
الايجابية "بحالة العلوم الالاهوتية" توصل سريعاً الى مكانة رفيعة ما زالت حتى
الآن عند الكثيرين من الشعوب الاميركية.

ويبلغ السحر العلاجي عندئذ ذروة مجده اذ يحاول ايقاف الامراض الشريرة
التي تسميها تلك المخلوقات. والترياق وهو (الشراب المقدس) يعد بواسطة
اختصار عصير بعض النباتات التي تم جمعها وفقاً لبعض الطقوس الخرافية. ووجود
هذا الشراب تعترف به الثقافات القديمة على اختلافها واسمه في الهندية (صوما)
وهو (الثولاسي) المعد لفسخ الخ. ولا نهاية لتعداد المستحضرات التي تستعملها
المدواة السحرية. ففي جنوب الجزائر والمغرب وتونس الضب المسمي اورصشتي
اهمية كبرى فمنه يستعمل الجلد والمخ واللسان في الطقوس السحرية نظراً لكون
ذنبه يتألف من احدى وعشرين حلقة وهذا عدد رمزي في السحر -

فالجان التي تحدثنا عنها والتي توجد في عالم ما فوق الطبيعة لعهد ما قبل الاسلام

في الشمال الافريقي تنتمي الى اكثر الرتب اختلافا (١) الابالسة والسايطين
والعفاريت الخ وقليلون هم ابناء البشر الذين تمكنوا من التسلط على جنهم . واما
في الشرق فيعد سليمان من اعظم الساحرين وسيد الارواح الارضية والعلوية
انكانت له عليها سلطة مطلقة وهو ذلك الملك الاشد صولا والأوفر مالا من بين
ملوك الارض وسلطته هذه يعود الفضل فيها الى خاتمه العجيب الذي كان قصه زمردة
نقشت عليها نجمة . وامتدت هذه الشهرة الى الغرب في عهود التوسع الاسلامي
وتشهد بذلك رواية مأخوذة من (تاريخ) ابن حبيب في القرن العاشر
حيث يقول :

« اثناء فتوحات موسى وصل هذا الى نقطة عشر فيها على صناديق نحاسية .
ولما كان يجهل ان سليمان كان قد حبس فيها عفاريت امر بفتح احدها فخرج
احد العفاريت وظن انه يتكلم مع سليمان فقال لسليمان وهو ينقض رأسه :
« انني احبيك يا نبي الله ! لقد افرطت في قصاصي في هذا العالم ! » ثم لما شعر
بان الذي اطلق سراحه لم يكن سليمان ولي هاربا خوفا من ان يعود ثانية الى حسبه .
وكما ان سليمان في الشرق سيد الجان فمولاي عبد القادر الجيلاني سيدها في
الغرب . بيد ان هذا الامر ليخرج عن الموضوع بحد ذاته .

وكثير من الجان ، تظهر باشكال خداعة يظن معها انها تسكن في روح الصخور .
وهذا ما يحصل في الريف حيث وحشة الجبال القاسية الجرداء تبدو كأنها مسراتع
الجان . وانها لتشبه اللوحة الزهدية لقروبل حيث نفس الجبال متوشحة بوشائج
السلطان (ابليس) الارجواني - البنفسجي وقد اختفى وجهه وراء الغيوم القبراء .
ولاجرم ان ساعدت النواحي الجبلية في العالم على ازدهار عالم ما فوق

(١) - ضون طوامس غرسييا فيغارس (D. Tomás García-Figueras)

معلومات عن الاسلام في المغرب «العرائش» .

الطبيعة بشكل خاص. فهذا ما هو حاصل في منغوليا حيث تحترق مساحاتها
الفسحة الجبال الجبارة اذ هناك يجري نفس الحادث بميزات كثيرة
الشبه بالتي في المغرب فالطبيعة الجبارة تتكلم الى نفس ابن البلاد عن القوات الخفية
التي تتأمر ضد ابناء البشر (١) وهذا ما يحصل في المغرب وكثير من الطقوس
المستعملة لا بطل مفعولها المشؤوم شبه غريب بالطقوس المستعملة
في منغوليا. وهذا ما يحصل في مسألة « الكراكر » المغربية التي

(١) توجد اراء شديدة التباين حول درجة تطور البشرية تظهر فيها فكرة
الارواح الشريرة. يو كدا - هيم : ان الانتقال من حياة الصيد المجتنية البدوية
الى الحياة الحضرية الزراعية، يأتي بفكرة الآلهة الرؤوفة التي ندين لها ببركة
الارض... وتنضم الى العفاريت هكذا الهة صالحة وحكيمة والى هذه الالهة
تعزى القدرة العليا اكثر الديانات تقدما بينما يرتائي ولهم كوبرس « ان لاصحة
لعدم وجود الارواح والآلهة الرؤوفة قبل مجيئ الحياة الزراعية. اذ ان الاعتقادات
التقليدية بالارواح المخيفة والعفاريت تظهر على الاصح بين اكثر الشعوب بدواة
وغيرها من الشعوب الفلاحة المتأخرة وذلك نتيجة للانحطاط العالم بالكائن الاعلى
من جهة ولا انتشار خاص للاعتقاد بالارواح والنفوس من جهة اخرى (علم الارواح)
ولهم كوبرس « الانسان الاول والديانة الاولى » ابحاث معهد برنردينيدي
شهاغون لدراسة السلالات البشرية من حيث الوسط والتركيب الجسدي التابع
للمجلس الاعلى للابحاث العلمية. باب رابع دفحة ٩٠٦ مدريد سنة ١٩٤٦) واما
فريبنوس فيعتقد بدورة : « ان قضية الجان لهي حتما من نتاج العالم الادنى
ولها اتصال بامور شهوانية قريصة الادراك ثم تتحول الى جنى مفرد (فارومان
كانو يقولون نومن) بفقد الارتباط القوي الواعي لادراك الاستقلال الشهواني
الظاهري. ويفرض المجال الحيوي الطبيعي تأثيرا هاما على الشكل والقوة الحيوية

ايست سوي كوم من الحجارة تقام كهديّة للجنان التي تعيش في مثل تلك
الاماكن الملعونة. فعلى شاكلتها « الاوبوس » او النصب المقدسة التي يرفعها
كهنة الهندوس في اماكن محفوفة بالاحطار وهي كناية عن مذابح اقيمت
للارواح الشريرة ويتم تشييدها في السفوح الجبلية « طانواو لا اوانان ثان » وهي
كناية عن جذوع اشجار اسندت الى صخور بشكل مكعبات طولها ثلاثة
امتار. ويقدم المارة خضوعهم الى هذه مخلوقات فيعقلون بالاغصان « الاوبو »
شرطا من حرير ازرق تسمى « هاتكس » او الشبائب وتطعم لحما وفناجين
الشاي او قبضات من الملح فهذه العدد والخرق وهذه الهدايا تشبه التي يعلقها
المغاربة في « العار » وتقوم هذه الاتقادات على قاعدة عقلية واحدة وعلى
ادوار السحر متشابهة.

للمجموعات الثقافية وعلى هذا المنوال كذلك يكون التأثير على شعور المجال النفساني
وتعمل القوة الحيوية الجان اذن متجهة نحو ما هو عقري في شكل خاص ثم تتلاشى في
تركها المجال الحيوي الغير محدود (تأليف جاليات). « بيد ان هذا لا يقتصر على
تبديل المكان الماهول بل انه يمتد الى خلق المجال الحيوي مثالا في سبيل تأليف
المواضع الكبيرة » (— ليوفريسينيوس صفحة ١٥٠ op. cit) ويكتب مريت الاستاذ الشهير
في جامعة او كسفور هذه العبارات: الانسان الاول يقر نفسه في اشياء هي بالنسبة الى
علمنا قاعدة الحياة او الشخصية وهو يفكر ان لها نوعا مختلفا الجسم غير انه
موحد لشعور والحركات بيد ان هذه الاشياء لا يعني انها قادرة على تقليد الشبح
كما يفعل الانسان عندما تتركه روحه موقتا او عندما تتحول بعد
موته الى روح من الارواح وعند ما الشيني من جهة اخرى او الشخص — يقعان داخل
النطاق التحليلي لما فوق الطبيعة ويوقد ان الخيال كمعجزات فيتوفر ما هو اقوى من
الداعي لان يحاول الهمجي تغيير السر الذي ينبض في الظاهرة الغربية او في ما وراءها.
« ر. ر. مريت دراسة سلالة الانسان بالنسبة الى المحطّر جهة مدريد ١٩٣١

ولجان اخرى ميزات حامية وهذه الفكرة قديمة كذلك في الشرق فيكون
ان الجان المجنحة التي في قصر اشور ناشير بال في طاجو العظيم كان موكولا
اليها نظرا لفضائلها الحامية امر الدفاع عن ساكني القصر الاما جد ضد الأرواح الشريرة.
والجان المعدة كالة للريح نظرا - لاجنحتها تمثل براس رجل او نسير .

السحر

الاراء متضاربة متباينة لاقامة صلة بين السحر والديانة « فالسحر والديانة
يكتب مريت (١) هما من حقل واحد الاختدار البشري وينتميان الى احد الحقلين
العظيمين للعالمين لئن صح لنا تسميتهما بذلك حيث كانت المعركة الفاصلة للاختبار البشري
خلال تاريخه العام . اما كلا الحقلين فينتميان الى عالم ما فوق الطبيعة الى ديانة
الاختبار الى منطقة العسق في الدماغ « وما عالم ثان وهو خكرخت (٢) فيد حض
فكرة الاسبقية الزمنية والعرضية السحر بالنسبة الى الديانة ويعتبر مرفوضة من حيث
وجهة درس ما قبل التاريخ كل النظريات التي تتنا في مع راية « ففى حقل ابجائنا
يكتب تقتصر على ان لا تقبل ان التمثيلات الاولى التي صاغها الانسان لما هو الالهي
كانت في نشأتها الاولى على حد من البساطة والحالة البدائية كما كانت عليه
الاشكال الاولى البدائية للفن والاقتصاد . وثمة مستد آخر من جملة
مسندات نظرياتنا وهو الاعتبار ان السحر ما كان ليؤلف عاملا خائفا وانما هو عامل
مشقق ثنياني لامصدر اولي . »

والسحر اللطيف كطقس عملي يقام في سائر نواحي افريقيا الاستوائية ويصف
فروينوس مشهد احضره سنة ١٩٠٥ في ادغال بكر بين الكاسي واللوبي

(١) مريت صفحة 166 op. cit

(٢) الاستاذخ . كرخث « انسان ما قبل التاريخ كخالق : العالم الروحي للبشرية

في العصور الجليدية . » برلين ١٩٤٢

قام اثنا عشر من المتحاربين الاقزام قبل الشروع في صيد وعل برسم
هذا الحيوان على الارض عند طلوع الشمس ورموه بسهام اقواسهم (١) ودرس استاذ
جامعة برشلونة الشهير ضون مانتشور المقر وجبل اسلين بوكوس (الصحراء) (٢)
وهو مثال آخر الاضرحة الاولى التي تجرى فيها طقوس السحر اللطيف وقد عثر في
ذلك المكان على نقوش في صلب الحجر هي لحيوانات يطبق عليها الرحالة الصياد
سجده . وهي اضرحة قبائلية يعتكف فيها الرئيس او الساحر لمناجاة الارواح
الحيوانية الممثلة وجعلها تتحول لمصلحة الجماعة.

واما سحر الصيد فيقوم على فكرة هي ان الصياد يكتب سلطة على حيوان
حال تسلطه على صورته بطرق سحرية وهذا يعنى بسلطة على روحه ولسائر المجتمعات
البداية اطلاع على طرق مختلفة للاتصال بقوى ما فوق الطبيعة.
وزيادة على هذا المزيج يزداد مسجوق ذنب العقرب . فهذه هي الروشاة التي في
عرف السحر لتحضير السم الكثير الاستعمال في بعض الحالات . واما تحضيره
فينبغي ان يقوم به رجل لباسه الكامل من جلد مدبوغ او من جلد ماغر يكسيه
من ام راسه الى اخصاص قدميه

بقايا وثنية

لقد لاحظنا كثيرا من الطقوس والعوائد التي ما زالت حتى اليوم في المغرب
والتي تنم عن ميزات غير قابلة للاخذ والود من انها تعود الى اصل سحيق لعهد ما
قبل الاسلام . فالبقايا الوثنية كثيرة في مختلف نواحي عقلية الشمال الافريقي .
بيد ان كافة الابحاث المتعلقة بالوجه الاولى للعبادات تصطدم بعقبات ذات

(١) لويوفروينيوس وهزي برويل «لافيك» (دفاتر الفن) باريس ١٩٣٠

(٢) الاستاذ ملتشور المغربي «فن ما قبل التاريخ في الصحراء الاسبانية» مجلة

افريقيا عدد ٣٥-٣٦ مدريد سنة ١٩٤٤

صبة خاصة . فالشغل العربي في البلاد فرض على السكان تأثيرا ذا اهمية متباينة وتوصل الى فرض لغة عربية على بقاع فسيحة الارض . ومثل هذا ما حدث لواجهة اخرى من الناحية السلاوية - النفاقية التي تحدثنا عنها ومن هذه تشا صعوبة التوصل الى الميزات الاولية للعقلية المغربية .

الحجارة . ان من بين المدافن التي تصنع للاولياء المسلمين في المغرب المدفن المسمى « بالبحوش » وهو ضريح بسيط مكون من دائرة من الحجارة تحدد قبر الشخص الذي يقده الشعب .

ان هذه الاهمية التي تعطى في المغرب للحجارة كعامل رئيسي لاهي من اقدم المخلفات بالنسبة لمعتقدات شمالي افريقيا . فالدنا جيون الذين يعيشون في وادي (=) الصفاف ويتخذون اسم اولاد الجهلاء « اولاد الوثنين » وقد اقاموا حديثا على قبور موتاهم « الصوب » اي حجارة كبيرة يقيمون حولها شعائرهم الدينية .

واما « الكراكير » المغربية فتشبه الى هذا النوع من العبادة يقام « كركور » بمناسبة وقوع اغتيال لدلالة على ان المكان الذي وقع فيه محفوف بالخطار ولدفع الشرير من كل من المارة حجارا على « الكركور » وبهذا يصون نفسه من الشر الذي كان يحوط به ثم يطلق ساقيه للريح . واما « العار » او كوم الحجارة او ما يعاق على الاشجار تقديرات تتكون عادة من سبعة احجار صغيرة اي حصبات مشدودة كلها بحرسة اوسلك . وفي قضبان حديد نافذات اشهر الزوايا الاسلامية تعلق الاحجار ملفوفة بقطع من الثوب حيث تبقى مدة من الزمان ومن بعد تؤخذ لتتحول الى عزيمة قوية المفعول . وفي مدينة العرائش تعلق تقديرات اخرى على المدفع الكائن

(١) يتغذر الجرم في صحة نقل هذه الاسماء والمسميات الى العربية نظرا التحريف الناجم عند الاوربيين من اخذها بالسمع ووضعها بحروف لغتهم مما يجعل اعادة بنائها في غاية الصعوبة حتى على اقرب الناس منها معروفة .

بالقرب من « برج اليهودي » وهذه التقدّمات هي كناية عن حصبات مشدودة بسلك يتركها صاحبها مدة في موخر المدفع ثم يعود الى اخذها ليستعملها كعودة . وفي قبيلة بنى يطفئ يدالك المصابون بامراض الكبد مرات متوالية بحجر كبير على شكل شحمة الاذن كائن على مدخل احد الاضرحة التي تجلب الشفاء . والدواء المعتاد استعماله ضد الجنون في قبيلة بنى يطفئ كذلك يقوم على ان تؤخذ سبعة احجار من سبع طرق مختلفة وترشق من فوق الراس عند الظهر ساعة وصول الشمس الى السمّ ولهذه الحالة الاخيرة صلة اجلال من نوع عبادة الاحرف في خرافة السبعة .

وتسمى كوم الحجارة الصغيرة التي تدل على طريق احد الاضرحة ذات الاهمية « بالنصب » . ويؤكد ر . خرنو (١) ان في مقاطعة قسطنطينية لازالت توجد عادات وثنية خصوصا عند اولاد عبدي تشمل رباعهم الاربعة : اولاد عمر بن داود ولاد علي بن يوسف ولاد مسلم ولاد مهدي وكذلك عند سكان نازا وسكان منعة الذين يقطنون المناطق الشمالية الشرقية الجبلية في وادي واد عبدي وواد عبيود واشهر اعيادهم تقوم على تبديل احدى اشجار المنزل الثلاث في الارض التي تدور به . فهذه الامثال كلها تدل على العبادة القصوى للاحجار واما المصدر الاولي لعبادة الاحجار فينبغي ان يبحث عنها في افكار الدفن عند انسان العصر النيوليثي الذي كان يشيد لحماية الميت . ستايلات . من الحجارة مركبة من بلاط صغير مغطاة بصفائح حجرية . وتظهر طقوس الدفن بوضوح منذ العهد الميسيني . ومن دراسة نواويس المرتغال حيث تمثل كافة النواحي التطورية فيستدل على ان الاضرحة الاولى مولقة من دوائر كبيرة من الحجارة شبيهة « بالاحواش المغربية » . وفي العصر

(١) ر . خرنو « عملية شق الجماجم في الاورس » الانطروبولوجية »

النيرليبي الأخير تظهر النواويس في شكل ممشي ومن بعد تتحول الى ممشي مغطى (١)
وقد عثر على مثل هذه المدافن انتي تعود الى العصر النيوليتي في المغرب. وهذا
ما هو عليه مدافن وادلو التي عثر عليها اثناء تشييد سد على طالا سنة ١٩٤١ وهي
تمتد على الضفة اليسرى لودلاو في قبيلة بني حسان وتبدي هذه الميزات (٢)
الى نفس هذه الافكار تنتمي نواويس ومسائل تلك العصور من تاريخ البشرية.
وفي المغرب حسب نيسو مثل هذه الآثار التي تتعلق بالمدافن هي مثل التي يعثر
عليها في الجزائر وتونس. والنواويس مثل التي في روكنيسة ومزالمة وبومرزوق في
الجزائر قوامها اربعة احجار خشينة غير منحوتة مغطاة ببلاطة موضوعة افقيا. والفارق
الكائن بينها وبين نواويس الجزائر هو ان هذه لها شكل مستطيل والمغربية لها
شكل منحرف عرضه يتراوح بين ٧٥ و ٩٠ سنتيمترا. وتوجد النواويس في قمم
التلال مولفة من مجموعات صغيرة وقد يعثر عليها في حياريم ودكزار وغللمان وامريس
وفي الهضبة التي تفصل حوض واد خلف عن حوض واد يوغدو وكذلك المنحدر
الجنوبي لتلة عين الدالقة وهكذا في منطقة حماية اسبانيا في الناحية التي تمتد بين
ثلاثاء رياسنة والقصر الكبير وكرملش مزورا يوجد على مسافة خمسة كيلومترات
من سوق الاثنين وتسمى «وتد» المسلة الكبيرة التي علوها يبلغ خمسة امتار.
وهذه المسلة كانت حسب اعتقاد ذلك الزمان مقر الالهية.

وفي العصور التاريخية المحضة احتفظت الشعوب السامية ومنها الفينيقية بوجه خاص
بهذه العادة. وكانت الجبلارة تتمتع بطقوس خاصة مختارة. وكانت هذه الشعوب

(١) خوسيه بيرث دي برادس «النواويس الاسبانية» منشورات مجلس
رعاية السياحة رقم ٢ مدريد.

(٢) بلايو كنتارو اطوري «معلومات عن الاركيلو في الموريطانية في المنطقة
الاسبانية تطوان ١٩٤١

ترمز بعمود من حجر مسمى « بنت ال » والبنت اللوس « او مسمى بوث » اي بنت الله او الالهية.

وهكذا كان عند ما كان ينزل التجار الفينيقيون الى احدى السواحل ومعهم بضاعتهم فانهم كانوا ينصبون حالا الى جانب خيامهم الحجر الخشن الذي يقوم بحراستهم . وكان الاله ادونيس . اله بيلوس يعبد في شكل عمود من حجر . وما زالت هذه العوائد محفوظة في كافة البلدان التي استعمرها الفينيقيون وفي امكانها ان تثبت صحة هذا الامر كما في نفس البهشة وهي احدى البلدان التي فتحها الفينيقيون في غزواتهم التجارية . ومن جملة الجسمين مال العوجودة في ضواحي مدينة عدوى فالمال الاكثر بساطة هي نظيرة « البنت اللوس » القائمة على شواطئ فينيقية ومنها ما تعيد الى الذاكرة « الحجارة القائمة » في النيل و« ايها زخارف وطنف في كثير من الحالات تدل على عبادة الشمس مثل « زهرة الشمس » وهي من الشارات التي تنحول ردها الى الاثار الفينيقية . ولا ريب في ان الفينيقيين هم الذين عرسوا ونشروا عبادة الحجارة .

وايكن وان كان الفينيقيون اشد الماضين في عبادة الحجارة في شمالي افريقيا فقد سبقهم الى هذه العبادة اليهود فبعض الحجارة كان قد صاغها اليهود الالوان لكائنات عجيبة تخفي قوة غريبة تنبض في اشكالها البدائية قوة الالهة . وكان اليهود قبل بناء الهيكل يقيمون طقوسهم الدينية حول حجارة مقدسة متقنة التكوين او موضوعة على قمة اهرام او مرفوعة في وسط الحقل على شكل مال . وهذه الحجارة كانت تكون « بنت ال » اي بنت الله لانهم كانوا يعتقدون انها تصون في صدرها قوة لما فوق الطبيعة وعليها كانوا يضعون تابوت العهد او الصندوق المقدس .

عبادات طبيعية

الى جانب عبادة الحجارة تقوم في حنايا نفس المغرب عبادات طبيعية كثيرة الانتشار نخص بالذكر منها عبادة المينابيع والغيمران والكهوف الخ وعلى ابواب جلها تذبح الحيوانات ذات اللون الاسود على وجه التفضيل او تحرق عناصر خاصة نباتية المصدر . ويقوم هذا الاعتقاد على الخرافة القائلة ان التربة ملك الجان تقطنها وتتخذ من الغيران مساكنا لها ولكثير من المينابيع ذات المياه المعدنية قوة على الشفاء من الامراض بفضل مفعول هذه الارواح . ولعبادة غيران "تمسشدش" اهمية كبرى بارزة وان كانت لا تجري في كافة القبائل بصورة واحدة .

ومن اهم الغيران المغارة التي في سفوح مكوبا لشفشاون وتسمى "كهف حنة مسودة" فيها يقال انه عاش الولي مولاي علي بن رشيد . وعلى مدخلها تحرق الاعشاب وتوضع النذور .

وفي المغرب ينابيع وبرك مقدسة المياه . وهناك اساطير عديدة منها ما يعود حتى الى العهد الاسلامي نحاول تعيين اصلها بالضبط اصلها العائد الى ما فوق الطبيعة وان كانت هذه الافكار تقوم في الواقع على معتقدات راسخة الجذور في نفس العوامل الوثنية الاولى للبشرية . ومن بين هذه الاساطير توجد اسطورة تتعلق بعين "الحوت" في تلمسان وقوامها ان احد الفتيان من اولاد سلطان تلمسان في القرن الثاني عشر مر بالقرب من العين في طريقه الى الصيد فوقع نظره على فتاة حسناء تسير مذعورة وهي حاملة جرتها فجرت في مشيتها لان وجهها لم يكن مجبورا دون ان تعلم ماذا تعمل . فترجل الامير عن حصانه وضم الفتاة بين ذراعيه وقبلها الامر الذي احمر منه وجهها كاحمرار الرمانة والقت من شدة حياتها جرتها وغطت وجهها «بالحائك» فلم ينفعا شيئا حياؤها لان القتى كان قوي البنية والنج في اظهار لواعيه

محاولا اختطافها ارضا لرغباته فلم يكن عندئذ من الفتاة الا ان تملصت منه ولقت
بنفسها في الماء حيث استجالت الى حوتة. ومن آنذاك والعين تسمى "عين الحوت"
وتعتبر هذه العين مقدسة.

ومن بقايا الافضالية التي تسدى للمياه هذا العيد الذي يسمى "عيد العنصرة"
او "عيد الماء" الذي لازال مرعيا في المغرب رغم اسلاميته ففي هذا العيد يقصد
الوف الزوار الشواطئي حيث يتجمعون. واما سكان الجبال فيحملون الشابات
والطبول ويقصدون السواحل على الاقدام او في الزوارق وهم يعزفون على آلاتهم
مقابل سكوت النساء التام.

ويعزون للماء اهمية كبرى تتعلق بمجموعة هذه الافكار والمعتقدات. وفي
العقيدة المغربية تتاحل كل انواع المعتقدات التي تتركز على الوهية الماء وهكذا
يوجد في مقاطعة مرفا كباس فرضة صخرية في صخور الشاطئي بالقرب من المكان
الذي يقوم عليه ضريح الولي سيدي يحيى الورداني. ففي هذا المكان تولف مياه
البحر بركة هادئة حيث تقطس النساء اللائي ترغن في ان يكون لهن ذرية وهن
يرددن الصلوات التي تدوم ما دمن في الماء وبعد ان يمر وقت على هذه العمليات
يشعرن بانهن حوامل.

والى جانب عبادة الغيران والماء توجد عبادات اخرى لمظاهر الطبيعة كعبادة
الثلل. وفي المغرب مكان ذائع الصيت بهذا الخصوص اسمه يعرف العامة "الئلة
القطساء" وهو كناية عن تلة رملية كبيرة قائمة بين مرفا كباس وتغسا وتبعد عن
الاول ما يقرب اربعة عشر كيلومترا ومئة متر عن الثاني.

ففي هذا المكان تظهر الطبيعة برافعة جميلة اذ ان الشاطئي
مكسو بالاغشاب ذات الاخضرار الشديد بينها بعض الاشجار الباسقة التي
تضع حدا الافق ملمعة اليه في اشراقه المترامي وخط الشاطئي مع المستطيل ذي

المنعرجات اللطيفة المفصوم من حين الى آخر بالصخور الوعورة الساحل . يضع
الحد الفاصل بين اليابسة والبحر ويشكل اطوا باهيا ينطق كل ما فيه بقوى الطبيعة
الجبارة .

ففى مثل هذا المشهد ترتفع التلة على علو يتراوح بين ١٨ و ٢٠ مترا وهي
المنطقة التي يتوجه اليها النساء المغريات من سكان المقاطعة اللائي ينغصن عيشهن
العقيم . يتجهن بالقرب من التلة المذكورة بعد ان يلقيسن حصى الترحال فيسرعن
في اعداد ذواتهن روحانيا مرددين صلوات طويلة لاكتساب بركة الله . وبعد ان يتم
كذلك تطهير انفسهن يصعدن الى قمة التلة ومن هنالك يتدخرجن بسرعة الى
السفح . ويعدن هذه العملية سبع مرات - دائما ينبغي ان تظهر خرافة السبعة - التي
تتمهى بانهاك قواهن وتسبب لهن شبه اغماء بلاروض لان طبيعة الارض رملية .

واذا ما تمت ممارسة هذه الطقوس يسرعن في الحال الى الاستحمام في البحر
في الجهة المقابلة للتلة . والعقيدة متأصلة على ان المرأة التي تراعى بامانة هذه العمليات
تحمل بعد اربعين يوما اعتبارا من اتمامها للعمليات المتقدمة الذكر .

ففى هذه الاحتفالات ينبغي ان تلاحظ افكار ومعتقدات قديمة العهد متصلة
عند مختلف الشعوب . فالمعتقدات التي تسربت من الشرق الى شمالي افريقيا وخصوصا
التي كانت ما بين النهرين تسمح بالحكم على ان لهذه العبادات الطبيعية علاقة
وثيقة بالتي كانت تقام هنالك . فالغيران كانت في عرف المعتقدات التي جاءت
من بين النهرين موضوع اجلال وتقديس واحترام . وقد فسد سمانا سنة ٨٥٣ ق . م .
ينابيع نهر دجلة فنقش اسمه عليها وهو اول شاهد خطي محفوظ لمثل شدة العبادات .
وفي المتاحف الوطنية في برلين ما زال محفوظا الشعب البارز لتغليبيسي الاول في
ينابيع دجلة في الاقليم الذي كان اسمه حيثثد نيري (شمال ديار كيرحاليا)
وهذه العبادات لا تقتصر على المغرب طالما ثبت وجودها كذلك في جنوب شبه
الجزيرة الاييرية منذ غرود قبل التاريخ كما يتسنى لنا . شاهدتها في الاشياء المعصورة

على صخرة الملح التي قام بدراستها جورج إدوارد بونصور حيث يظهر سيلانو اله
 الغرف وحورية راقصين امام مغارة في احتفال ديني سحري صرف (١). واما فيما
 يتعلق بعبادة المياه ففي بابل قام ارفع تمثيل ديني وهو احتفال الانتاج الذي كان
 يتم بواسطة النخلة المزوجة الجنس اذ يمسك القائم بالطقوس وهو المالك الذي
 كان في نفس الوقت الكاهن الاكبر وعاء فيه "ماء الحياة"، بيده اليسرى.
 وكدايل على رتبة الماء هذه ورسم سيادتها كذلك ولتميز تمام سيطرة المالك
 كان هولاء يغطسون في البحر اسلحة الاله اشور. فالماء عند سائر الاساطير الشرقية
 تمثل الحياة. ففي مصر وفي معتقداتها الوثنية لمشا الاله ان المصدر الاول لكل
 حياة وعلة وجود سائر الاشياء يقدر انه هو البداية المسماة "نون" التي ينبغي ان
 نرى فيها تجسد الماء الرزمي كما يتضح في تفسير طلوع الشمس اليومي منجبسة
 بشكل طفل - هرمتمشيس - من زهرة لوطو السابقة في النون. فتوم او اتوم - احدي
 ظاهرات رع - الذي عبد اولاً في مصر السفلى خصوصاً في هليوبولي وهو اقدم اله
 كان في "المياه" في البليدة القائمة للعالم الجنيني السابق لطلوع الشمس لأول مرة.
 وعقيدة الوهية الماء هذه ما زالت منذ فجر البشرية تجدد حياتها في مختلف المعتقدات
 الوهمية متغلطة ومتقلبة مع الثقافات المتعددة. فهذه هي حال الاله الاقليمي "اوسيان" و
 المعبود عند سكان الساحل الجنوبي اشبه الجزيرة وسكان موريطانيا. ولقد عثر
 العالم ضون بلايو كنتارو في حفريات او كوس على طنف قيم من البرونز يمثل الاله
 المذكور. وهذا الطنف يماثل الطنف الذي عثر عليه في جزيرة سانيتي بنزي (قادس)
 وهذا مما يدل على عبادته في الساحل الهسبيري.

(١) جورج إدوارد بونصور "الرحلة الجيولوجية على ضفاف الواد الكبير".

نيويورك ١٩٣١

عيشة قنديشة

وهناك جنسية تثير شديد اهتمام هي عيشة قنديشة، امرأة جميلة تغوى المارين الذكور المنفردين فيما اذا التقت بهم في اماكن بعيدة بدافع شهوانيتها التي لا يکبح لها جماح. يعتقد اهل البلاد انهم رأوها في مناسبات عديدة، وهي تستجهم في غدران رقراقة المياه تعوم فوقها شعورها الحريرية الذهبية. واما جمالها فجذاب وبالاخص السحر الذي في عيونها التي تقود الى ارتكاب الفحشاء. لها جسم غض بديع الضمع واما رجالها فهما رجلا ما عزا او حمار وهي تحاول اخفاءهما بحذر بين طيات "الحايك" او ان لها - وهذا الاغلب - رجلا ن كأرجل النساء وجسمها جسم ما عزا مع ضربتين كبيرتين متدليتين.

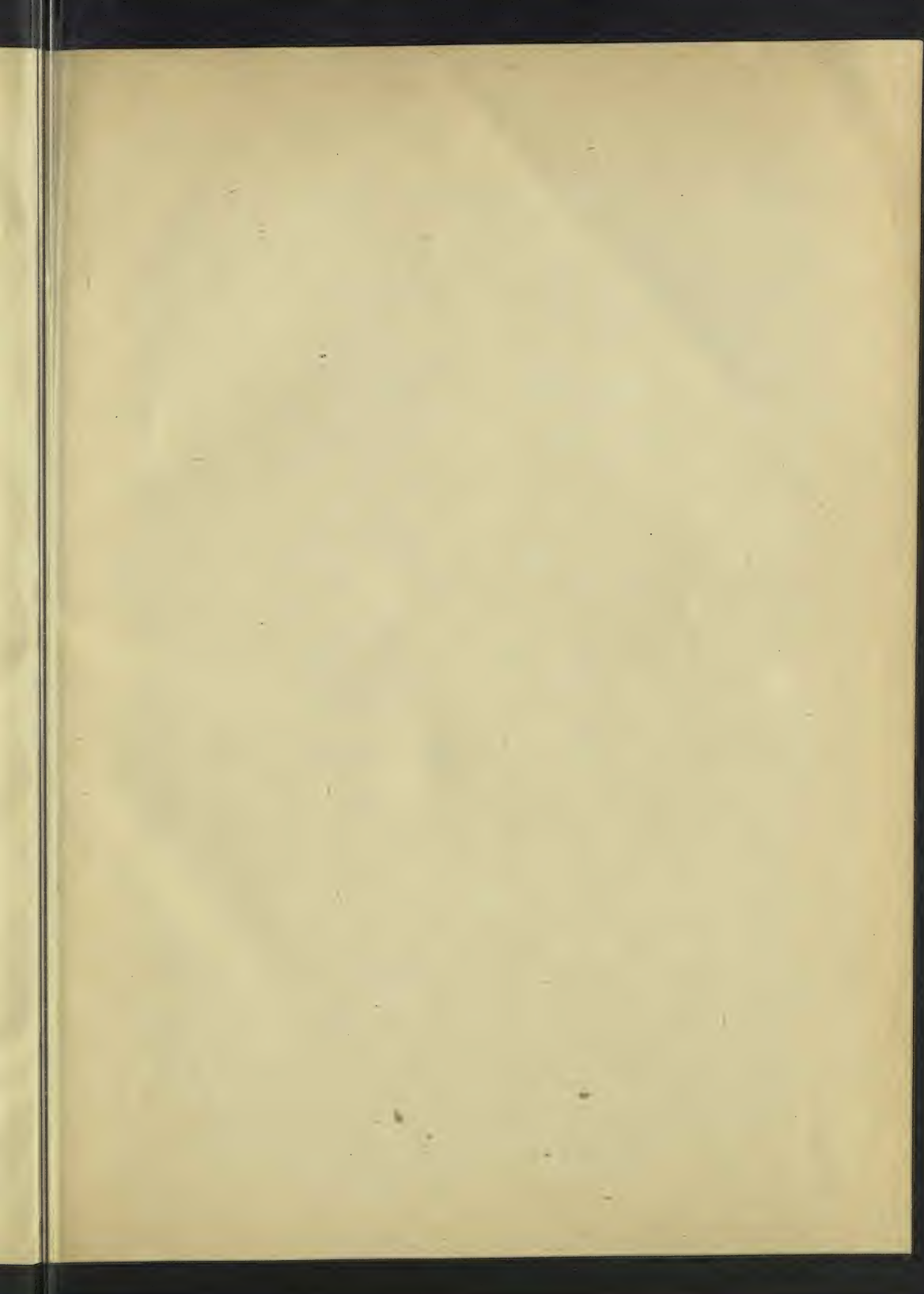
توجد عدة اسباب تسمح بان يفترض ان عيشة قنديشة هذه هي من مخلقات الهة الحب الفينيقية "اسطورة" فيكون اليها حمو قبيلجو الاله همان. ويشت هذا الامر فيما اذا اعتبرنا ان في كافة عبادات الشرق الادنى القديمة تظهر حالات مماثلة من حيث وجود الهة الحب ميزتها الاكثر بروزا في تمثيلاتها هي نمو تدييها نمو اخارقا وسندهما بيديها. وكانت تمثل اسطار الهة بابل اخت شامش كاهنة للشور، عريانة وهي تسند تدييها بيديها وان المنحوتات التي تعرفها "لاسطار" تدل على طبيعة انوثية قوية البروز الى حد الشطط في صدر كبير ووركين عريضتين وفقا الذوق الشرقي. وهذا ما هو حاصل تماما في حالة عيشة قنديشة المغرب. واسطار كعيشة قنديشة تجسد الفسق وفي عباداتها كانت تقام اعياد لم يكن لمجونها وتتمكها قيذا وحده. وفي اشوريا كانت الالهة بعلات وهي احدى الهات اسطارته المحلية تمثل بنفس التمثيل "ولها" نفس المعنى والمغزى.

وهذه الاسطورة لا تقتصر على منطقة حوض البحر المتوسط حيث انه في الهند تظهر اخرى مماثلة كما هو شان الالهة نيرتي التي تومز الى الشهور. ففي سائر ثقافات

المحور المتوسط . اثار هذه الشخصية الوهمية كثيرة الشيوع وقد اتضح ذلك في
مصر قبل عهد العائلات المالكة (باداري) ومالطة (هال سفلياني وهال ثرياني)
واسبانيا (تمثيل الاليثاركي) الخ وفي شمال افريقيا في هوغرت لدينا تمثال لمرأة
ضخمة الجسم عارية عثر عليه في قبر ثينان في واد الاطلس له مغزى مماثل .
وتوجد ضوور اخرى لثقافات حوض الدنوب لها علاقة بما تقدم مع انها تنتمي الى
مجموعة اخرى (١) فشخصية عيشة قنديشة المهمة ينبغي ان نربطها باثار سلطنة
الاحومة الواضحة التي تملدو عند السكان الاميين الافريقيين في وقتنا الحاضر . وفي
العادات الوثيقة العرى بسلطنة الامومة وارتكاب الفجشاء العادي عند فتيات اولاد نايل .

انتهى

(١) جورج بوسون " دراسة لغوية وسلاسية وما قبل التاريخ " باريس
سنة ١٩٣٤ . ادوار وسترمالك " بقايا وثنية في الثقافة المحمدية " ، باريس .





نماذج من الوشوم المصرية

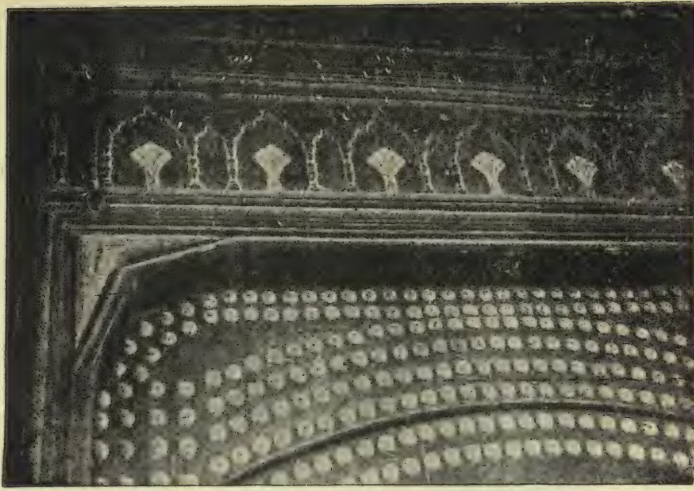
يمثل النموذج الرابع والثلاثون والسادس والثلاثون خرافة الحسنة. والنموذج الرابع والثلاثون مركب من صنف الخرافة مع عبادة الشمس. وتنتمي الى النموذج الصليبي الشكل مع مغزى تماثل النماذج الالهية 35 '37 '38 '39 '40 '41. والنماذج السبعة الاخيرة هي لعبادة الشمس الدائرية. والنموذج 15 لشكل الانسان هو في نفس الوقت

يدل على خرافة الخمسة. وتدل على خرافة السبعة النماذج الآتية '42' '43' '44' '45' '46' '47'
والنموذج 49 مشابه التمثيل الشمسي الذهبي عند الانكس اليبروين الذي يظهر في
الشكل رقم ١ وهو في نفس الوقت يدل على خرافة الخمسة. وأما الرابع والثامن والثالث
والثلاثون فله شكل منحرج من اصل العصر المغدالاني.

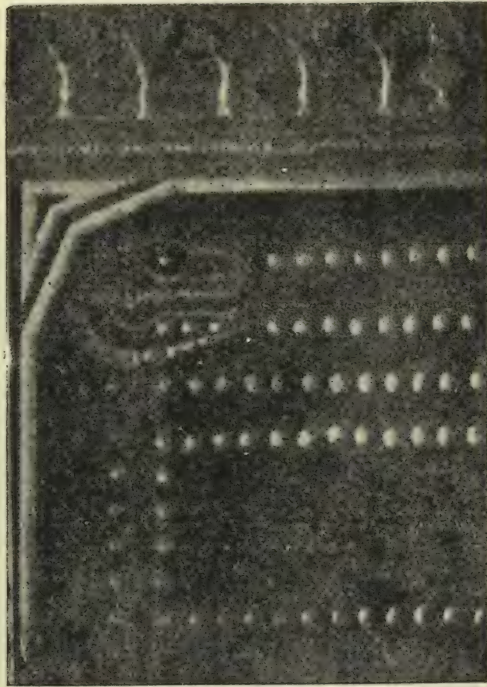


الشكل رقم 1. — تمثيل شمسي
ذهبي للانكس ظاهر الشبه بانموذج
الوشم رقم 49 من اللوحة رقم 1.

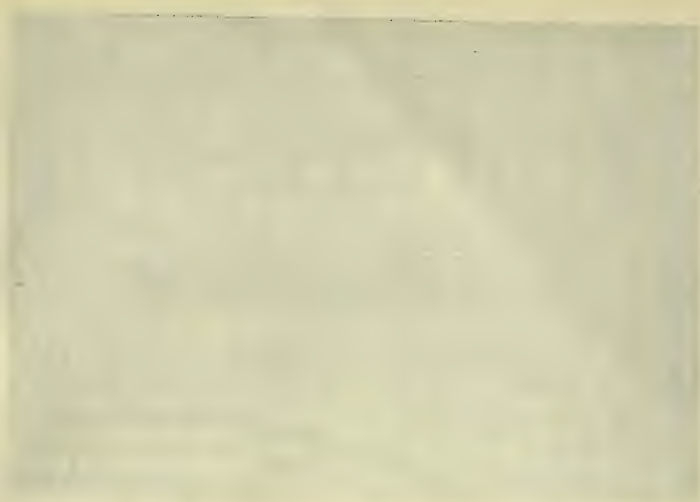




الشكل رقم 2. — زهرات كبيرة ذات خمسة فروع في عتبة
احدى الابواب في تطوان.



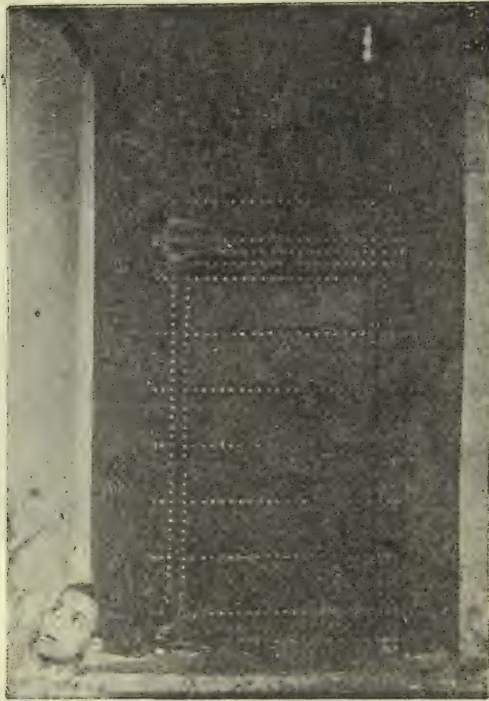
الشكل رقم 3. — زهرة كبيرة ونعلة في
الزاوية الشمالية العليا.



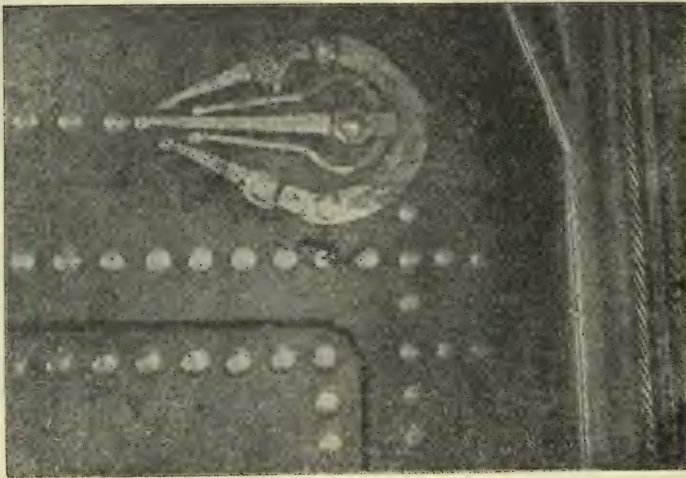
1000 - 1000 - 1000



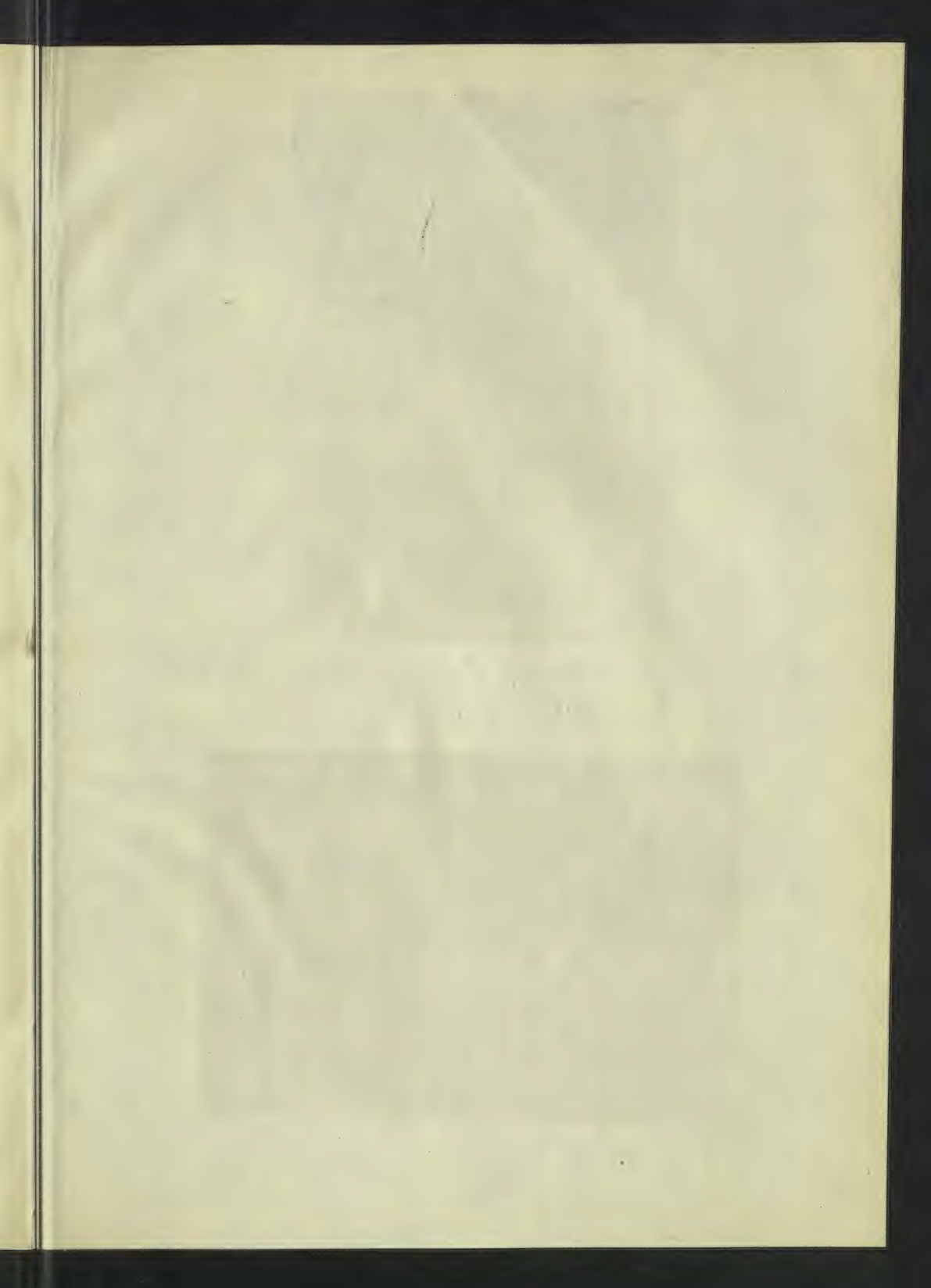
1000 - 1000 - 1000

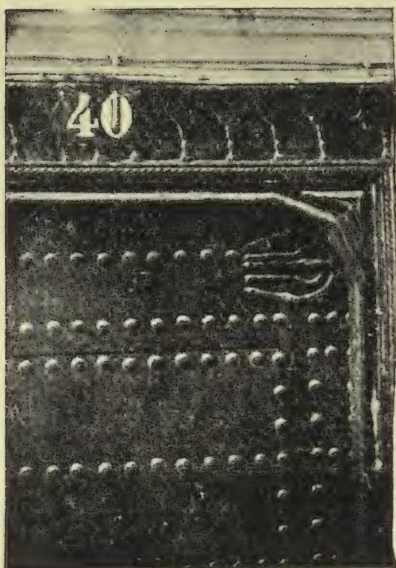


الشكل رقم 4. — باب ذونعال في الزوايتين
العليا والسفلى من الشمال.

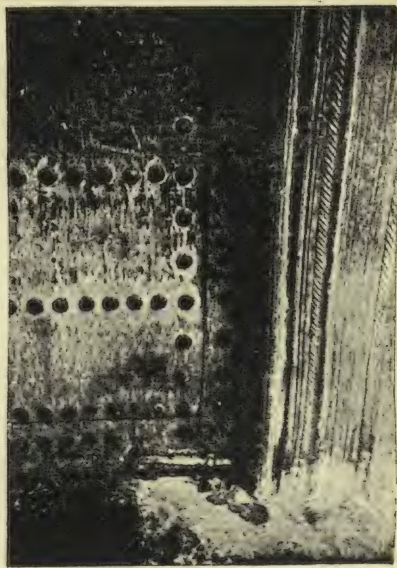


الشكل رقم 5. — نعلة في الزاوية العليا من اليمين.





الشكل رقم 7 — نعلة في الزاوية
اليمنية العليا.



الشكل رقم 6 — نعلة في الزاوية
اليمنية السفلى.



الشكل رقم 9 — يد مطبوعة في
الحناء على باب احد المنازل التطوانية.



الشكل رقم 8 — مشط ذو خمسة
فروع مطبوع بالحناء على احد الابواب
وهو شبيه بالوشم عدد 21 من اللوحة



Fig. 1. (a) ... (b) ...

Fig. 2. (a) ... (b) ...

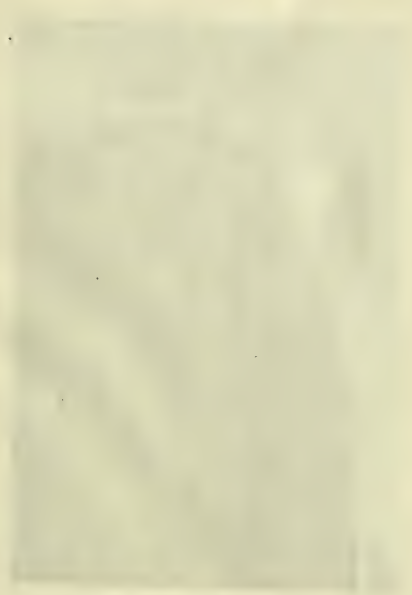
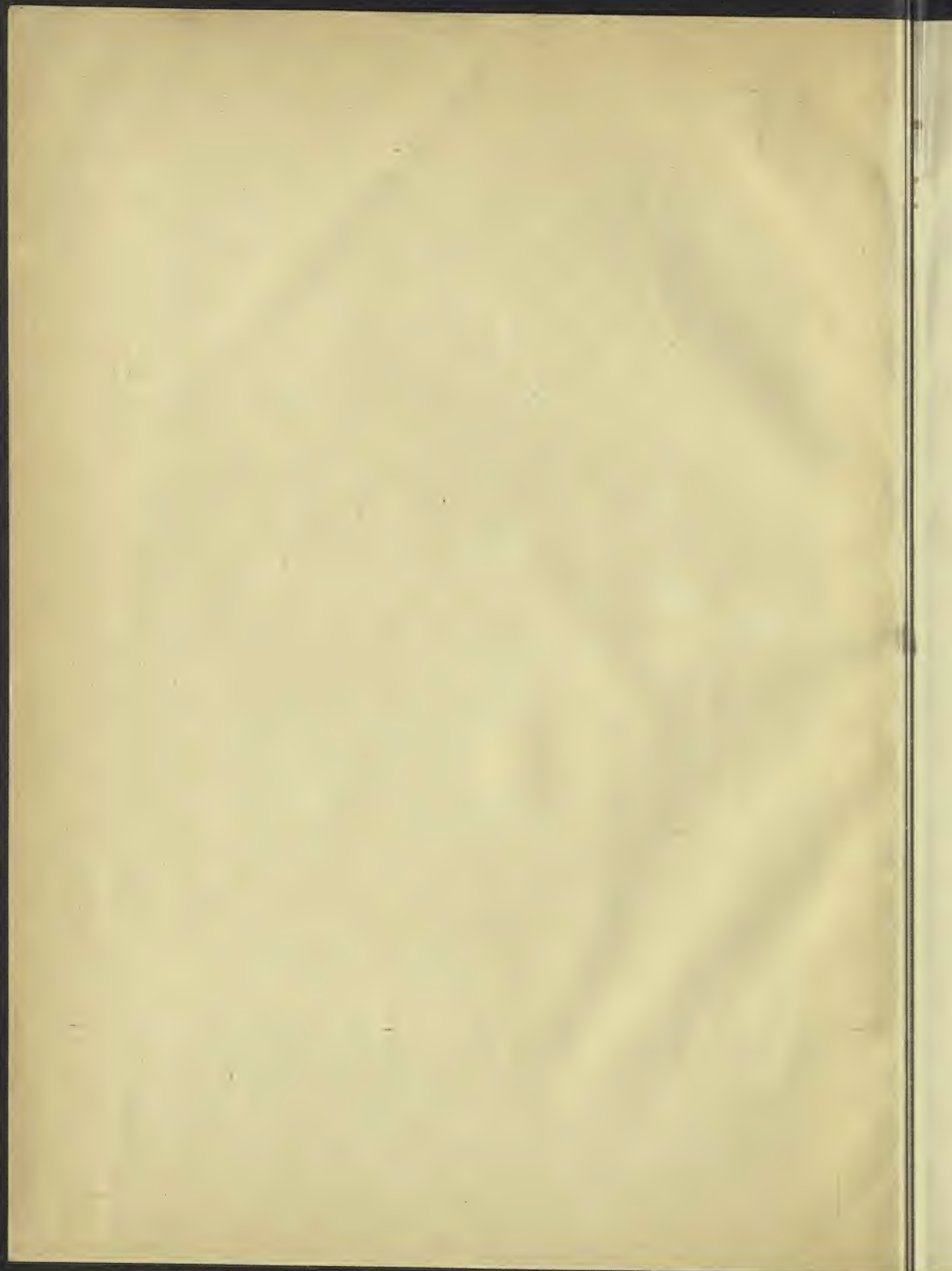


Fig. 3. (a) ... (b) ...

Fig. 4. (a) ... (b) ...



La versión árabe ha sido hecha
por NAYIB ABUMALHAM, del
Gabinete de Traducciones de la
Delegación de Asuntos Indígenas.

1000000

1000000

1000000

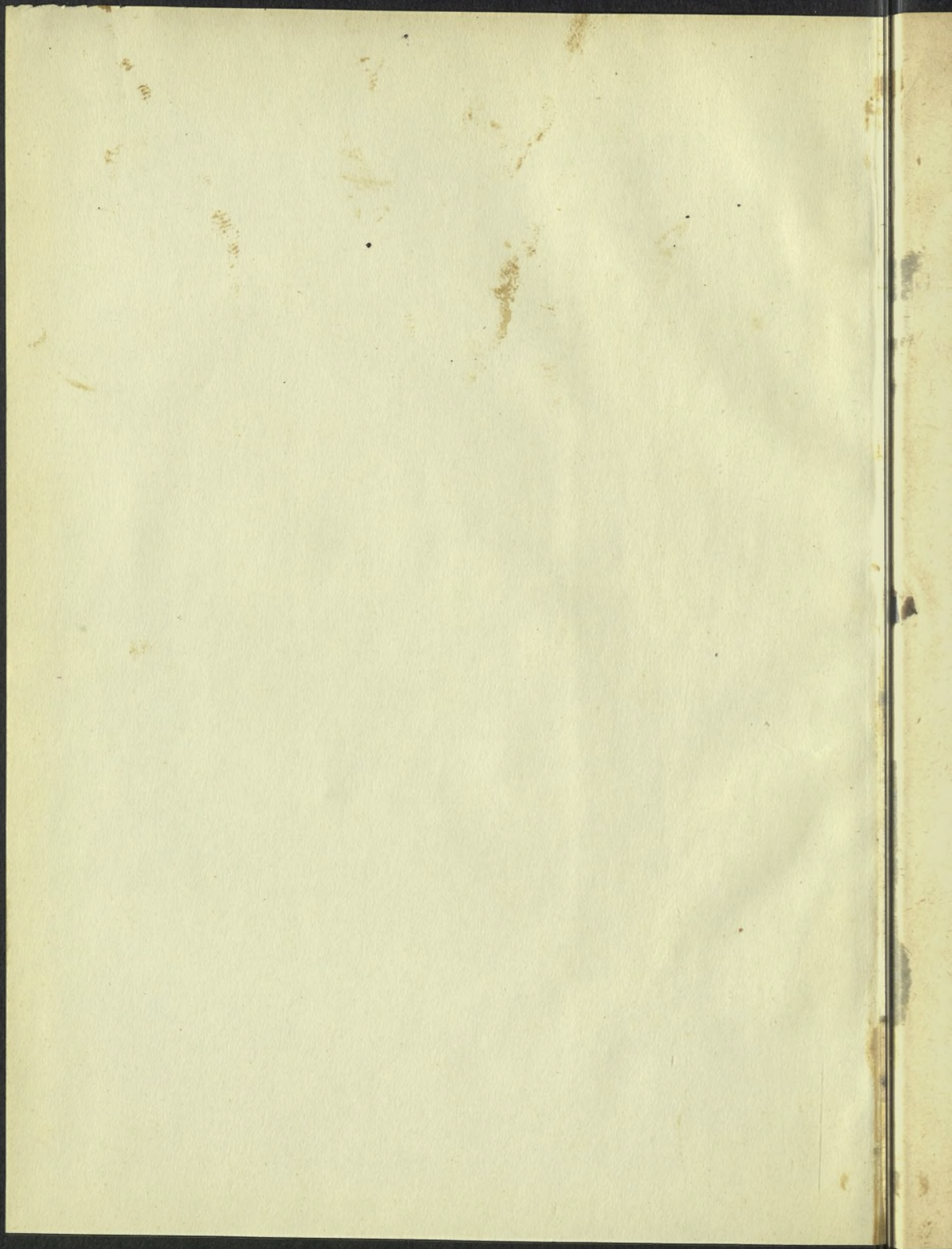
INSTITUTO MULEY EL-HASAN

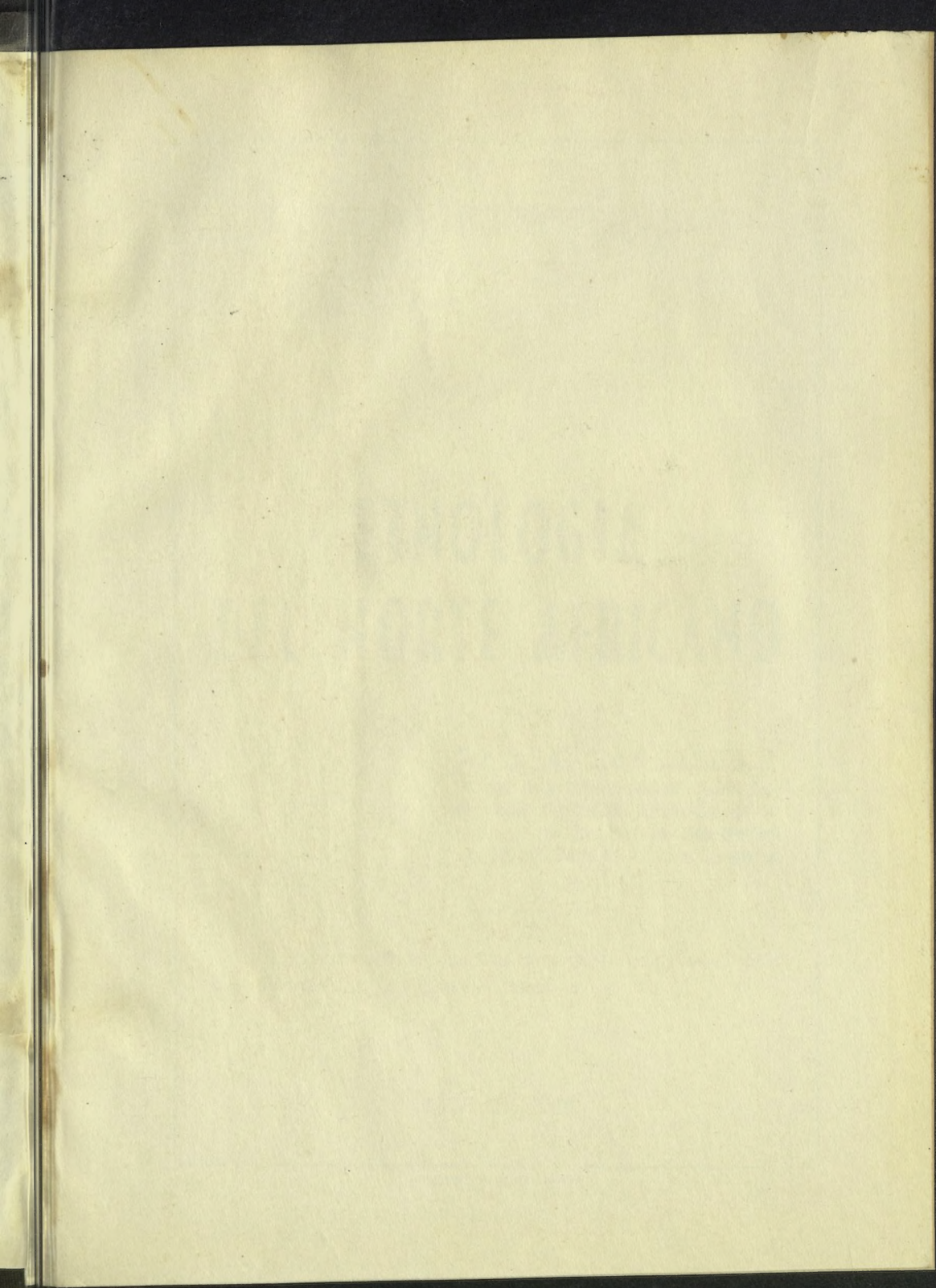
ETNOLOGIA DEL NORTE AFRICANO

Por JULIO COLA ALBERICH,
Profesor de la Universidad de Madrid, Jefe
de Sección del Instituto «Bernardino de Sa-
hagún» de Antropología y Etnología del Con-
sejo Superior de Investigaciones Científicas.

Conferencia pronunciada el día 31 de Marzo de 1947 en el Paraninfo de la
Delegación de Educación y Cultura en Tetuán.

TETUAN, 1948







AMERICAN
UNIVERSITY of BEIRUT

572.361
C68ef